سالم محمد كريم



الشعوبية

نشأتها وتطورها

(دراسة تاريخية)



الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

AD-DAR AL-JAMAHIRIYA
FOR PUBLISHING, DISTRIBUTING & ADVERTISING

الشعوبية

نشأتها وتطورها

سالم محمد كريم

الشعوبية

نشأتها وتطورها

دراسة تاريخية

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

□ الشعوبية - نشأتها وتطورها -

سالم محمد كريم

الطبعة الأولى: الفاتح 1372 إفرنجي (2004)

رقم الإيداع المحلي : 2004/5967 دار الكتب الوطنية بنغازي

رقم الإيداع الدولي: ردمك 4 - 0181 - 0 - ISBN 9959

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراته: هاتف: 614658 _ 051 _ 606086 _ 021

ص ب. 1459 _ بريد مصور 619410 _ 051

E-mail: daraljamahiriya@maktoob.com

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الاهداء

الى

والديّ الكريمين

اللذين أول من غرسا فيّ حب المعرفة والبحث عنها

الى .. زوجتي وأبنائي الأحبة

أهدي هذا الجهد المتواضع

سالم

المقـدمـة

قامت الدولة العربية الإسلامية في خضم صراعات شتى، واستطاع العرب المسلمون من نشر مبادئ الدين الإسلامي السمحة إلى أقصى أرجاء العالم، ودخل في الإسلام أصناف أخرى من الناس من أهل الأديان والفلسفات التي كانت منتشرة في ذلك الحين، وقسم من هؤلاء الذين انهارت دولهم أمام ضربات العرب المسلمين أخذوا يضمرون الحقد في قلوبهم على الدولة العربية الإسلامية، وأصبحوا يشكلون خطراً على المسلمين ودولتهم، وقاموا بشتى الطرق والأساليب لمحاربة العرب والإسلام فسلكوا دروباً خفية منها التستر بستار الإسلام ورفع شعار التسوية والمناداة به، إلا أنه في الحقيقة كان يحمل في طياته حركة مناهضة للإسلام كان هدفها تدمير الدين الإسلامي وتشويه مبادئه، أطلق عليها اسم الشعوبية.

هؤلاء الدهاة والماكرون تظاهروا باعتناق الإسلام، وأخذوا يدرسون مبادئ الدين الإسلامي وهم يضمرون في أنفسهم الحقد

والكيد والمكر والخديعة، وكانوا يتحينون الفرص للهجوم على الدين الإسلامي الذي انتصر على أقوامهم وأديانهم.

ومن الدول التي أسقطها العرب المسلمون، كانت الدولة الساسانية التي اتخذت لها عاصمة في أرض عربية في العراق، واحتك العرب بالفرس الذين أضمروا الحقد للعرب ودخلوا الإسلام ظاهراً، ومن هنا بدأ الصراع بين العرب المسلمين الذي يمثلون مبدأ التوحيد وبين الفرس المجوس الذين يمثلون المبدأ الثنوي. وسرعان ما شهد المجتمع مواقف عدائية كان مصدرها الفرس، إذ دخلوا الإسلام من أجل نخره ومحاربته، ومنذ ذلك الوقت أصبح الفرس سبب كل فتنة أو انقسام ظهرت في الإسلام، ولم يكتفوا بهذا بل تحالفوا مع الحركات المعادية للإسلام، وتدخلوا في شؤون الحكم وتآمروا على الخلفاء الذين يمثلون السلطان العربي الإسلامي، وأقدموا على اغتيال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ ودبروا مؤامرة اغتيال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ، ونشطت حركات معادية للإسلام نشرت أفكارها المنافية للقيم الدينية، هذه الحركات كانت تدعي الإسلام وهو براء منها، أطلق عليها اسم الزنادقة الذين أدخلوا على الإسلام أفكاراً غريبة منافية لمبادئه، واستخدموا أسلوب الدس والتحريف، ولجؤوا إلى الشتم والتشهير والتطاول على الشخصيات الإسلامية والقادة العرب.

وبسبب تنوع الوسائل والأساليب التي اتخذتها الشعوبية، فإن

الحديث عنها وعن دورها التخريبي في إفساد العقيدة وتشويه المبادئ الإسلامية يتنوع ويطول أيضاً، فكان لزاماً علينا إظهار حقيقة هذه الحركة المعادية وإبراز وجهات النظر التي كثرت وتنوعت وأخذت منحى التباين فيما بينها للوقوف على الحقيقة التاريخية، التي تؤدي بالنهاية إلى أن الشعوبية تنتهي في كثير من الحالات بالخروج على الإسلام، لأنها اتخذت هدفاً واضحاً هو مهاجمتها للعروبة والإسلام.

ويعد موضوع الشعوبية من أخطر الموضوعات في التاريخ العربي الإسلامي، لارتباطها بالزندقة التي كانت تمثل سلاحاً من أسلحتها ومظهراً من مظاهرها، ولأنها شغلت الأفكار والأذهان، وتعاونتا على محاربة العقيدة الإسلامية والقومية العربية التي كانت تشكّل لها عقدة نفسية، لذا قاموا بمهاجمة المثل العليا والنظم الاجتماعية والآداب العامة للعرب.

ولما كانت هذه الحركة جنيناً في العصر الأموي، فإنها أصبحت ترى النور في العصر العباسي وأخذت تنمو خلال هذا العصر حتى كمل نضوجها مستغلة من الظروف السياسية الجو الملائم لها لإبراز نشاطها والعمل على تحقيق أهدافها الهدمية.

وأثّرت هذه الحركة الخطيرة على عدة مجالات في المجتمع العربي الإسلامي، ففي المجال الديني، حاولت إدخال عقائد وأفكار دينية بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي، مثل فكرة الحلول والاتحاد وعقيدة التناسخ التي كانت تمثل ركناً أساسياً من أركان

الشعوبية، ولغرض الإساءة والتطاول على خاتم الأنبياء والمرسلين فإنهم جاؤوا بفكرة (النبوة المستمرة) التي مفادها أن النبوة فيض دائم لا ينقطع، ناهيك عن عقيدة التأويل الباطني التي اتخذتها الشعوبية وسيلة من وسائلها للوصول إلى أهدافها الحقيقية.

وفضلاً عن هذا، فإن الشعوبية قامت بتزييف وتحريف الأحاديث النبوية الشريفة، ومحاربة أركان الإسلام التي جاء بها لخلق مجتمع يسوده العدل والإحسان، وقاموا بالعبث بكتب الفقه وفلسفة الأخلاق الإسلامية، وتشجيع الناس على ارتكاب المحارم وكل ما ينافي الدين الإسلامي.

ولم تكتف الشعوبية بهذا الحد، بل امتدت إلى الحياة الاجتماعية، فالمجتمع العربي قائم على تعاليم الدين الإسلامي، ولما كانت الشعوبية تهدف إلى هدم الإسلام، فإنها قامت بتشويه المثل العليا والقيم الروحية للمجتمع العربي الإسلامي، ودعوا إلى أفكار اجتماعية وخلقية تتعارض وروح الإسلام، رامية في ذلك إلى تفكيك روابط المجتمع وإضعافه وتحقيق ما تبتغي إليه الشعوبية.

فحاربت الشعوبية العرب في كل شيء، في قيمهم، وطعنت في أنسابهم وشككت في صحتها، وحاربت العرب في ثقافتهم وفي مثلهم العليا من كرم وحسن وفادة وفروسية، وتقدير للمرأة، حتى إنها سخرت من أساليبهم الخطابية واستخدام الآلات الحربية، إذ إنها معركة بين حضارتين وطبيعة المعركة طبيعة حضارية، وقد كتب على هاتين الحضارتين الصراع المستمر، ويكفينا الحوار الذي دار

بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وقادة تحرير العراق الذي يعكس طبيعة هذا الصراع بقوله: «ليت الله جعل بيننا وبين فارس جبلاً من نار»[1].

هذه هي بعض مطاعن الفرس الذين تبنوا الحركة الشعوبية، وشحذوها وشجعوها من أجل تحقيق أهدافهم الرامية إلى تدمير كل ما هو عربي. وقد تنبَّه الخلفاء والمفكرون والمؤرخون المسلمون إلى خطر هذه الحركة، بعد أن أدركوا الأسباب التي كانت تختفي وراء هذا الكيد والحقد الذي أضمروه للأمة العربية التي نذرت نفسها لحمل الرسالة الإسلامية والجهاد في سبيل إعلاء شأنها ونشرها في أرجاء العالم، وكان اختيارهم موضع اختيار إلٰهي لما لهم من صفات دون غيرهم من الأمم الأخرى تحتم عليهم الدفاع عن الرسالة الإسلامية والذود عن القومية العربية، فأثبت العرب في تصديهم للشعوبية وانتصاراتهم عليها، أنهم أقوى من أي خطر مهما يكن مصدره وأنهم قادرون على تحقيق الانتصار في كل زمان.

أما الدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع فهي لأهمية العصر الذي قامت فيه الشعوبية ونشطت، فقد كان عصراً حافلاً بكل شيء، وبرزت فيه شخصيات استطاعت أن تقف بوجه هؤلاء الحاقدين، فقد كان تاريخاً بحد ذاته غيّر أموراً كثيرة، فضلاً عن كثرة الحركات والفرق المتباينة فيما بينها والأدوار الخطيرة التي

---

(1) الطبري، محمد بن جرير (ت،310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الحسينية، ج4، القاهرة، (1326هـ)، ص 169.

قامت بها هذه الحركة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وعلى الرغم من هذا فإن هذا العصر برزت فيه حركة الترجمة وبلغت الثقافة فيه ذروتها، وأوجد علماء وقادة استطاعوا أن يقفوا بوجه هذه الحركة الخبيثة، شهد لهم التاريخ بمواقف كثيرة تذكر لحد الآن.

وإذا كان لكل عمل صعاب تعيق مسيرته فإن المتعة تكمن في تذليل هذه الصعوبات، وأهم هذه الصعوبات أن الموضوع لم يكن من الموضوعات التي يمكن الحديث عنها بشكل بسيط، فهو متداخل في فقراته ومتشعب في حلقاته، ولكن بفضل الله تذللت هذه الصعوبات.

تضمنت هذه الرسالة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول الذي يضم ثلاثة مباحث، الأول في فضل العرب ودورهم بين الأمم وما ذكر بحقهم في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، والمبحث الثاني تناول مفهوم الشعوبية لغة واصطلاحاً، وفي المبحث الثالث تناولت الشعوبية بين الظهور والتطور.

وأما الفصل الثاني فقد قسم إلى مبحثين، الأول أساليب الحركة الشعوبية، والمبحث الثاني أهداف الحركة الشعوبية الهدامة.

أما الفصل الثالث فعقدته لدراسة موقف العرب من الحركة الشعوبية وكان على مبحثين: الأول الموقف الرسمي الذي قام به

الخلفاء، والمبحث الثاني الموقف الشعبي الذي مثله الأدباء والكتاب والشعراء.

أما المصادر التي اعتمدت عليها دراستي فكانت مصادر متنوعة، منها المخطوطات التي تعد من النوادر والثروة الفكرية ولي وقفة عندها، فهذه المخطوطات كانت بمثابة عالم سحرني بموضوعاته الغنية والعلمية، علَّها تصل إليها أيادي الذين يعرفون قيمتها لتحقيقها وإظهارها إلى عالم النور ليتعرف العالم على ما تخفيه هذه الأوراق المركونة على الرفوف.

فضلاً عن هذا، فقد كانت المصادر الأصلية وهي أمهات الكتب على أنواعها من أدبية وتاريخية ولغوية وسير وتراجم لزاماً على كل باحث الاطلاع عليها والاستفادة منها، وقد تعاملت مع مؤلفي هذه المصادر بحسب اللقب المشهور به وثبته في قائمة المصادر مع سنة وفاته، ويأتي في مقدمتها حقيقة لم يكن عندي كتاب يتقدم على الآخر ـ فكلها تعد أقماراً في عالم الظلام ـ فالطبري في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) يعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي، ويمتاز بأن معلوماته تعتمد على عدد من الرواة، وقسم من الأحداث مأخوذٌ عن رواة عاشوا الحدث، ولا يمكن للباحث الاستغناء عن هذا المصدر.

أما ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ)، فهو الآخر من المصادر المهمة في التاريخ العام، الذي يعتمد على من سبقه مثل الطبري والمسعودي، ويضيف عليهما معلومات تفصيلية.

ويأتي المسعودي مؤلف (مروج الذهب ومعادن الجوهر) في قائمة المصادر التي لا بد لكل باحث من الرجوع إليه والاطلاع عليه، لأنه يعتمد على مؤلفات تاريخية موجودة في أيامه والتي لم يصل إلينا منها إلا القليل.

وإذا أردت أن أذكر أكثر المصادر التاريخية الأصلية فالأمر يحتاج إلى مجلدات حتى تسع هذه النوادر والثروة العلمية، فاكتفيتُ بهذا القدر لأتناول أهم المصادر الأدبية ويأتي في مقدمتها كتاب الجاحظ الذي تصدى للشعوبية في مؤلفاته مثل: (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) ورسائله القيمة التي ردّ فيها على الشعوبية، وتأتي أهمية مؤلفات الجاحظ أنه عاصر الشعوبية وتصدى لهم في أكثر مؤلفاته.

إنَّ أكثر كتب الأدب أهمية هو كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني الذي عالج أحداثاً مختلفة بشكل أدبي، باعتبار أن الأدب كان مرآة لتلك النواحي.

وتضمنت قائمة المصادر أيضاً كتب التراجم وغيرها من الموضوعات سأكتفي بذكرها في قائمة المصادر.

وكانت الدراسات الجامعية على قلتها خير عون لي، استفدت منها في دراستي لموضوع الشعوبية والتعرف على ما كتبه زملائي من وجهة نظرهم كباحثين تناولوا عدة موضوعات وشخصيات كان لها دورٌ في التصدي للشعوبيين.

فضلاً عن هذا فقد تضمنت قائمة المصادر مراجع حديثة وكتباً

للمستشرقين على الباحث أن يتعامل معها بحذر وأن يحتاط فيها لأنهم يمثلون وجهة نظر مختلفة عن الدراسات الأخرى.

ولا يسعني في الختام إلا أن أتقدم بالشكر للأستاذ المشرف الدكتور محمد جاسم المشهداني لما أبداه لي من عون ومساعدة في إنجاز هذا البحث، كما أتقدم لكل الأساتذة في السنة التحضيرية بالشكر والدعاء إلى الله أن يطيل بأعمارهم لرفد المسيرة العلمية.

ويملي عليّ واجب العرفان أن أتقدم بالشكر لكل العاملين في المكتبات العامة، لما لمسته فيهم من حب المساعدة وتقديم المعونة وتذليل الصعوبات، وقد كانت مدة جمع المعلومات والالتقاء بهم مفيدة وممتعة وغاية في الكرم والأخلاق.

أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وما التوفيق إلا من عند الله العزيز القدير.

الفصل الأول

فضل العرب ومفهوم الشعوبية

المبحث الأول: فضل العرب

المبحث الثاني: مفهوم الشعوبية

أولاً : الشعوبية لغة

ثانياً: الشعوبية اصطلاحاً

المبحث الثالث: الشعوبية بين الظهور والتطور

فضل العـرب

تعد الشعوبية من الحركات الهدامة في التاريخ والتي حظيت باهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين، القدامى والمحدثين عرباً ومستشرقين، لما لهذه الحركة من أثر في طمس معالم العرب وتشويه التاريخ العربي الإسلامي، فالعرب مادة الإسلام[1] ورفعة الإسلام بالعرب، وقد شرف الله سبحانه وتعالى أمة العرب بمكانة سامية من بين الأمم ومنزلة رفيعة وشأن عظيم، فقال جل شأنه:

(1) في حديث للرسول محمد ﷺ يقول فيه: «العرب مادة الإسلام إذا ذل العرب ذل الإسلام»، البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت،256هـ)، صحيح البخاري، طبع محمد صبيح، ج5، (القاهرة، د.ت) ص 21. وقد ورد هذا الحديث بصيغة أخرى على لسان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ عندما شعر بحقد الفرس وكراهيتهم له، وقال عندما علم أن أحد الموالي الفرس هو الذي قتله: «ما كانت العرب لتقتلني»، وكان يوصي الخليفة من بعده قائلاً: «وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام» ينظر ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت،656هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط2، ج12، (القاهرة، 1967م)، ص 189.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، لما يمتلكونه من صفات لم تشاركهم فيها أية أمة من الأمم، وهناك ميزة أخرى امتاز بها العرب عن غيرهم وهي أن لغتهم أشرف اللغات إذ جعلها الله سبحانه وتعالى لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة، وهذه الميزة بانت واضحة بآيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[2] وقوله جلت قدرته: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] وقد منحهم الله ثقلاً استثنائياً في سلم المواقع بين الأمم إذ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4] أو في تأكيد مسؤولية العرب بتحقيق الرسالة إذ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[5] وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[6] وآيات انطوت على اهتمام خاص بالعرب والعربية منها قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[7]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾[8] وكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد على مكانة العرب بين الأجناس.

---

(1) سورة آل عمران، من آية 110.

(2) سورة الزمر، من آية 28.

(3) سورة الزخرف، آية 3.

(4) سورة البقرة، من آية 143.

(5) سورة الرعد، من آية 37.

(6) سورة الزخرف، آية 44.

(7) سورة الأحقاف، من آية 12.

(8) سورة طه، من آية 113.

وقد أكد الرسول الكريم ﷺ في أحاديثه الشريفة ما جاء في الآيات القرآنية من التأكيد على فضل العرب ومكانتهم منها قوله ﷺ: **«حب العرب إيمان وبغضهم نفاق، من أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني»**[1]، وحديثه ﷺ: **«أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي»**[2].
وفي حديث للرسول ﷺ مع الصحابي سلمان الفارسي إذ قال له: **«أخشى أن تبغضني يا سلمان فتفارق دينك فيجيبه سلمان كيف أبغضك يا رسول الله وفيك هداني الله للإسلام، فقال رسول الله ﷺ تبغض العرب فتبغضني»**[3].

أخرج البخاري (ت،256هـ) في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وبالأنصار خيراً الذين تبوأوا الدار والإيمان، وبأهل الأمصار فإنهم ردء الإسلام، وبالأعراب فإنهم أهل العرب ومادة الإسلام[4]، إن هذا النص يدلل على مكانة العرب أصولاً وحضارة وإنجازات، كذلك يظهر لنا تقسيم العرب إلى ثلاثة أقسام: مهاجرين وأنصار وأعراب. لكن الملحوظ أن الموقف من

---

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت،241هـ)، المسند، ج2 (القاهرة، 1313هـ). ص 285.

(2) الترمذي، محمد بن عيسى (ت،270هـ) سنن الترمذي، المكتبة السلفية، ج3، (المدينة المنورة، د.ت) ص 52.

(3) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج (ت،261هـ) الجامع الصحيح ج1، (القاهرة، 1954م)، ص 188.

(4) البخاري، الجامع الصحيح (المشهور بصحيح البخاري)، ج5، ص 21.

الأعراب تغير في فهم أصول العرب الذين هم مادة الإسلام[1].

وقبله جاءت استنتاجات الإمام الشافعي (ت، 204هـ) المؤكدة على العروبة لغة وثقافة ورابطة، فالعربية عنده أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها نظاماً[2]، والقرآن يدل على أنه ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، وكتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره[3]، والله سبحانه وتعالى أقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل (ت، 241هـ) جمع أحاديث وآثار كثيرة في فضل العرب وفي ذم كارهيهم منها قوله ﷺ: **«من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم وأحبوا العرب وبقاءهم نور في الإسلام»**[4] و**«إذا ذلت العرب ذل الإسلام»**[5].

ويسير ابن قتيبة (ت، 276هـ) على نهج من سبقه ومعاصريه فيقول: «إن العرب جمعوا الأمرين شرف الخصائل والصفات

---

(1) رضوان السيد، العرب والعروبة والعربية من مفاهيم الهوية والأمة والدولة في الفكر العربي الإسلامي، بحث نشر في وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج1، (بغداد، 1990) ص 8.

(2) الشافعي، محمد بن إدريس (ت، 204هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة، 1939م) ص 42.

(3) المصدر نفسه، ص 42.

(4) الطبراني، سليمان بن أحمد (ت، 360هـ) المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، ط2، ج12 (بغداد 1984م) ص 455.

(5) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت، 911هـ)، الجامع الكبير، تعليق علي سامي النشار، المكتبة الثقافية، ج1، (بيروت، 1973م) ص 23.

والمروءات قبل الإسلام وشرف اختصاص الله عز وجل لهم بالنبوة بل إن أكرم خصائلهم كانت وراء اختصاصهم بذلك»[1] ويؤكد على أن العربية عربية اللسان والثقافة في النهاية، فإسماعيل ﷺ تعلم العربية من جرهم وهذه مسألة اختيار وليست تاريخاً فقط[2]. ورأي ابن قتيبة متأثر بالشافعي وهذا التأثر لم يكن عند ابن قتيبة فقط فأبو حيان التوحيدي (ت، 387هـ) سار على نهج الجاحظ (ت، 255هـ) في تفضيل العرب على سائر الأمم قبل الإسلام وبعده فهم (أعقل الأمم لصحة الفطرة، واعتدال البنية، وصواب الفكر، وذكاء الفهم)[3].

أما المسعودي (ت، 346هـ) فقد اشترك مع الفارابي (ت، 339هـ) في تحديد خصائص الأمم ولكنه زاد عليه بتحديد أدق لأثر البيئة الجغرافية في الأمة ولموقع الدولة في حياة الأمة[4].

---

(1) ابن قتيبة، عبد اللّه بن مسلم، (ت،276هـ)، كتاب العرب أو الرد على الشعوبية في رسائل البلغاء، اختيار محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1954م) ص 342.

(2) رضوان السيد، المرجع السابق، ص 12.

(3) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، (ت،387هـ)، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، (القاهرة، 1953م) ص 89.

(4) المسعودي، أبو الحسن بن الحسين، (ت،346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرجاء، ج1، (القاهرة، 1938م)، ص 31؛ التنبيه والإشراف، دار الصاوي للطباعة والنشر، (القاهرة، 1938م) ص 67؛ ناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، (بيروت، 1980م) ص 77.

وينفرد أبو الحسن العامري (ت، 381هـ) بالتنظير لأمة العرب وجيل العرب ودولة العرب، فهو يقسم الأمم والأجيال إلى الصينيين والترك والحبش والبربر والقبط والهند والروم والعجم والعرب، وذكر أن العرب قبل الإسلام كانوا جيلاً أي أمة بمقتضى اللسان والجغرافية. وبعد ظهور الإسلام صاروا أصنافاً ثلاثة: صنف ملوك أعزة وصنف مجاهدين وصنفاً لهم شرف الانتماء إلى دين العرب[1].

ويؤكد الماوردي (ت، 450هـ) على مسألة التوافق بين الأمة والملة أو الدين وعنده أن كل مملكة لا تُقيَّم إلا كان أساسها ديانة[2]، ويقيم تلازماً بين الأمة والسلطان السياسي أو الدولة والإمامة[3]، مقومات الأمة عنده مجموعة بشرية على رقعة متصلة من الأرض يسودها سلطان سياسي واحد أو دين سائد، ويذكر تاريخ الأمم قبل الإسلام مثل الفرس واليونان والروم، ويرى بعد ظهور الإسلام أنه ليست هناك أمة مكتملة الشروط غير الأمة العربية الإسلامية[4].

---

(1) العامري، أبو الحسن (ت381هـ)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة (الرياض، 1988م) ص 171.

(2) الماوردي، علي بن محمد (ت،450هـ)، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، (بغداد، 1986م) ص 111.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى الحلبي، (القاهرة، 1357هـ) ص 3.

(4) الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، (بيروت، 1981م) ص 48.

ويرى صاعد بن أحمد التغلبي الأندلسي (ت،462هـ) أن أمم العالم الحقيقية ثمان هي: الهند، الفرس، الكلدان، اليونان، أهل مصر، العرب، العبرانيون[1]، وتأتي أمة العرب سابعة عنده، والعامل الأساسي في تكوين الأمم عنده: اللغة واللسان وللأرض دور في هذا التكوين[2].

وكان الشهرستاني (ت،548هـ) شديد الولاء للماضي العربي الإسلامي، وكبار الأمم عنده: العرب والعجم والروم والهند. ويقيم فاصلاً بين الأمة والملة والدولة بالمعنى التاريخي للمسائل، والأمة عنده أمة العرب والملة ملة العرب والدولة دولة العرب[3].

لم يرق انتشار وتثبيت قواعد الدولة العربية الحاقدين عليها، فاشتد الصراع بينهم وبين المسلمين، وتوالت الحملات الصليبية وظهور المغول للقضاء على دولة العرب، وأخذ المفكرون وكتّاب الحديث يكتبون لإظهار أمجاد الفتوحات العربية الأولى وبدأ هذا الاتجاه في بغداد ودمشق. وهذا ابن عساكر (ت،571هـ) الذي

---

(1) ذكر رضوان السيد في بحثه العرب والعروبة، أن صاعد بن أحمد التغلبي يرى أن أمم العالم ثمان بينما التي ذكرها سبع وهي تختلف عن الأمم التي أوردها أبو الحسن العامري.

(2) الأندلسي، صاعد بن أحمد التغلبي، (ت،462هـ)، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، (بيروت، 1975م) ص 33.

(3) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت، 548هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج1، (القاهرة، 1961م) ص 11.

يورد في تاريخه الكبير وفي مقدمته بالذات أحاديث وآثاراً في فضل العرب وفي بقائهم بعد هلاك الناس[1]، ويحدثنا ابن فضل اللّه العمري (ت،749هـ) عن جهاد العرب ضد الصليبيين والمغول، ويعدد رجال العرب الكبار، قبائلهم وأمراءهم الذين شاركوا في تلك المعارك[2].

ويأتي الحافظ العراقي (ت،804هـ) فيجمع فضل العرب، وفخر العرب في الآثار والمرويات في كتاب ضخم بعنوان (القرب في محبة العرب) ويختصره ابن حجر الهيثمي (ت، 973هـ) في جزء بعنوان (مبلغ الأرب في فخر العرب)[3].

أما تعريف العرب في رأي اللغويين وما اتفق عليه علماء اللغة، فالعرب عندهم اصطلاح يشمل البدو والحضر، والرابطة الأساسية بينهم هي اللغة العربية، وقد تكوَّنوا في جزيرة العرب، أما العرب المستعربة فهم قوم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكموا هيئاتهم[4].

---

(1) رضوان السيد، العرب والعروبة، ص 18.

(2) العمري، ابن فضل اللّه (ت،749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوروثيا كرافولسكي، الجزء الخاص بالعرب، (بيروت، 1985م)، المقدمة.

(3) الهيثمي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر (ت،973هـ)، مبلغ الأرب في فخر العرب، مخطوطة في دار صدام للمخطوطات في بغداد برقم 833 29/ 3.

(4) ابن منظور، محمد بن عبد الكريم (ت،711هـ)، لسان العرب، دار صادر، ج1، (بيروت، 1955م) ص 500.

ويأتي مبحث ابن تيمية (ت،728هـ) في العرب والعروبة والعربية لإبراز تميز الأمة العربية والنهي عن التشبه بالكفار والمشركين، وهو مبحث تفصيلي ومستوعب لتاريخ النقاش والجدل، وأوضح ابن تيمية أن الأعراب جزء من العرب أو هم باديتهم لأن لكل أمة بادية، والعرب أفضل من العجم، واسم العرب يطلق على قوم جمعوا ثلاث صفات: أن لسانهم كان باللغة العربية، وأنهم كانوا من أولاد العرب، وأن مساكنهم كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب[1]، وينتهي ابن تيمية إلى أن هناك تغيير طرأ من ناحية النسب واللغة ومع ذلك صارت العربية عربية اللسان وعربية الأخلاق وقد رُوي حديث عن الرسول ﷺ في هذا الصدد يقول: **«يا أيها الناس إن الرب رب واحد والأب أب واحد والدين دين واحد وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم إنما هي لسان»** وفضل العرب عند ابن تيمية، هو لأن النبي عربي منهم وكون أنفسهم أفضل وسبب هذا الفضل ما اختصت به عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم[2].

فالعرب بحق أمة وهذا مستوحى من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وقد ذكرت كلمة (الأمة) في القرآن الكريم في تسع

(1) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر: أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1981م)، ص 247، وما بعدها.

(2) ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين، (ت،728هـ) اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، (بيروت، 1987م)، ص 147، وما بعدها.

وأربعين آية بصيغة المفرد وآيتين بصيغة الجمع المخاطب وبمعنى الجمع غير المعرف في ثلاث عشرة آية، ومن مجموع الآيات التي وردت فيها كلمة أمة تنفرد أربع آيات بالعرب، ففي الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]. هذا الاختيار كان قد وقع على العرب لأنهم أصحاب الأرض الوسط في الكون ونمطهم الحضاري يقوم على توازن قيم السماء وقيم الأرض[2].

وقد تعددت معاني الكلمة لكن مدلولها الرئيس هو كيان اجتماعي، فالأمة في القرآن الكريم تقترن بالعقيدة والتوحيد، وقد استخدمت كلمة (أمة) مجازاً بمعنى الوقت (حقبة) أو (الدهر)[3]، واستخدمت بمعنى التجسد والتمثل، فإبراهيم الخليل عليه السلام كان أمة[4]، والمشركون كانوا أمة أي عقيدة وهي الشرك[5].

وفي الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[6] إشارة إلى الجماعة التي على

---

(1) سورة البقرة، من آية 143.

(2) نزار عبد اللطيف الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1987م) ص 132.

(3) سورة هود، آية 8، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾.

(4) سورة النحل، آية 120، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

(5) سورة الزخرف، آية 22 ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

(6) سورة آل عمران، آية 104، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

الرسول ﷺ أن يمارس تكوينها لتكون أمة. وقصد الله سبحانه وتعالى (العرب) في نص الآية القرآنية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] دون غيرهم من الأمم لما يمتازون به من ميزات وصفات جعلتهم يكونون خير أمة، وفي الآية ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2] وهذا إقرار لحقيقة كون العرب أمة واحدة وحقيقة وجوب إيمانهم بالله شرطاً لوحدتهم.

---

(1) سورة آل عمران، من آية 110.

(2) سورة المؤمنون، آية 52؛ سورة الأنبياء، آية 92 ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

مفهوم الشعوبية

أولاً ـ الشعوبية... لغة:

لتوضيح مفهوم الشعوبية لا بد من الوقوف على معناها اللغوي أولاً ومدلولها الاصطلاحي ثانياً، فالشعوبية لغة مأخوذة من الفعل (شَعَبَ) بفتح الشين والعين والباء، ولهذا المصطلح اللغوي أكثر من معنى واحد، وقد تناول الفراهيدي (ت، 175هـ)[1] هذا المصطلح بإسهاب فقال: الشَّعْبُ: الصدع، وقالت العرب في هذا الجانب:

قالت ليَ النَّفْسُ أَشَعْبِ الصَّدْعَ واهْتَبِلْ

لإحدى الهناتِ المُعْضِلاتِ اهتبالَها[2]

والمشْعبُ: المِثقب، والشُّعبة: القطعة يصل بها الشعاب قدحاً

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت، 175هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، ج1، (بغداد، 1980م) ص 262.

(2) لم نقف على قائل البيت.

مكسوراً ونحوه، والشَّعبُ: ما تشعب من قبائل العرب. وجمعه شعوب، ويقال العرب شعب والموالي شعب والترك شعب، والشعوبي الذي يصغر شأن العرب فلا يرى لهم فضلاً، وشعبت بينهم أي فرقتهم، وشعبت بينهم (بالتخفيف) أصلحت، والتأم شعبهم أي اجتمعوا بعد تفرقهم وتفرق شعبهم، ومنه قول الشاعر[1]:

شُــتَّ شَــعْــبُ الــحــيِّ بــعــدَ الــتــئــامْ
وشــجــاكَ الــربــعُ ربْــعُ الــمُــقــام

وقال الشاعر ذو الرمة في هذا المقام[2]:

لا أحْـسِـبُ الـدَهـرَ يُـبْـلـي جَـدَّة أبـداً
ولا تـقَـسَّـمَ شَـعْـبـاً واحـداً شُـعَـبُ

---

(1) البيت للطرماح، بن حكيم بن نقر الطائي (ت،105هـ) ديوان الطرماح، لوزاك، (لندن، 1927م) ص 390؛ الأزهري، محمد أحمد أبو منصور (ت،370هـ) تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج1 (القاهرة، 1964م) ص 443؛ ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت،395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3 (القاهر، 1979م) ص 192.

(2) ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي (ت،117هـ) ديوان ذو الرمة، شرح أبي نصر أحمد سيد حاتم الباهلي، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية، ج1 (دمشق، 1972م) ص 38؛ الأزهري، التهذيب، ج1، ص 444؛ ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت،458هـ) المحكم المحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج1 (القاهرة،1950م) ص 235.

وشعب الرجل أمره: فرقه، وشعب الجبال: ما تفرق من رؤوسها، وتشعبت الطريق إذا تفرق.

من خلال ما تقدم يتضح أن كلمة شعب هي من الأضداد فمرة تأتي بمعنى التفرق ومرة تأتي بمعنى الاجتماع، فتقول شعبت بينهم فرقتهم ولها معاني أخرى نذكرها لتلم بمعانيها اللغوية المختلفة، فهي فضلاً عن الجمع والتفريق تفيد الإصلاح والإفساد[1].

ثانياً ـ الشعوبية... اصطلاحاً:

أما مدلولها الاصطلاحي فقد تقارب المؤرخون في تحديده مع بعض الاختلافات اللفظية، والتباين الجزئي بتحديد درجة الشمول والسعة على الرغم من اختلاف فتراتهم الزمنية، فهي محددة بالحركات السرية التي تظاهرت بالإسلام، وعملت على هدمه ونسف الدولة العربية الإسلامية من الداخل، ومسخ التراث العربي،

---

(1) للمزيد من المعلومات عن مادة شعب ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين، (ت،321هـ)، الاشتقاق، طبعة نوتا، ج1، 1954م، ص 17؛ ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت،328هـ)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج2، (القاهرة، 1948 ـ 1953م)، ص 62؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 30؛ الزمخشري، محمود بن عمر، (ت،528هـ)، الكشاف، ج2، (القاهرة، 1329هـ)، ص 346؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة شعب، ج5، ص 482؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت،840هـ)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، (القاهرة، 1939م)، ص 83؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت،1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، ج1، (القاهرة، 1306هـ) ص 321.

ومحاولات إفراغ تاريخ الأمة العربية من المحتوى الإيجابي الحي[1].

وقد تناول الكتّاب القدامى والمحدثون دراسة الشعوبية، ولكن كان هناك خلط بينها وبين الغلو والزندقة دون تحديد أي منها لتشابه أهدافهما ومبادئهما. وقد تصدى الجاحظ (ت،255هـ) للشعوبية والشعوبيين وذكر أن الشعوبية هم المبغضون لآل النبي ﷺ وأصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس، ثم قال: «واعلم أنك لم تر قوماً أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد انتهاكاً لعرضه ولا أطول نصباً ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة»[2].

ومن الذين تصدوا للشعوبية ابن قتيبة (ت،276هـ) فقد وصفها بالتحامل فهي «بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة، وتلحق بها كل رذيلة، وتغلو في القول، وتسرف في الدم، وتبهت بالكذب وتكابر العيان، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف، وتنقص من النبي ﷺ إذ ذكر بالشجا، وتطرف منه على القذى، وتبعد من الله بعدها ممن قرب واصطفى»[3].

ويرى ابن عبد ربه (ت،327هـ) الأديب الأندلسي، أن

---

(1) عبد العزيز الدوري، . الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، ط2، (بيروت، 1980م)، ص 11.

(2) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت،255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، ج3، (القاهرة، 1938م)، ص 29.

(3) ابن قتيبة، كتاب العرب أو الرد على الشعوبية، ص 344.

الشعوبية هم أهل التسوية[1]، وقد استنتج رأيه هذا من اتخاذ الحركة الشعوبية في بدايتها شعار مبدأ المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب المسلمة[2].

ويطور البغدادي (ت،429هـ) تعريف الشعوبية، عندما وصفهم بالذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عودة الملك إلى العجم[3]، وهذا جاء بعد أن امتدت الدولة العربية الإسلامية وعظم شأنها فأخذ الحقد يغلي في صدور الشعوبيين ولا يعظمون شأناً للعرب.

وقد نهج ابن منظور (ت، 711هـ) منهج البغدادي وأطلق على الشعوبية اسم فرقة لا تفضل العرب على العجم وإنما تنتقص العرب ولا ترى لهم أي فضل، وأن الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم[4].

أما من وجهة نظر المحدثين في العصر الحديث، فقد عرَّف أحدهم الشعوبيين بأنهم قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم، وظهرت دعوتهم بعد عصر الخلفاء بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك في خدمة الدولة العربية الإسلامية، فنشأت العداوات

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 408.

(2) نزار وسعيد عبد اللطيف الحديثي، الشعوبية نشأتها وتطورها، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1990م)، ص 21.

(3) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت،429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق محمد زاهر الكوثري، نشر عزت العطار، (القاهرة، 1948م) ص 285.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج2، (د.ت) ص 321.

بين العرب أصحاب الدولة، وبين العجم الذين انتحلوا الإسلام، وكما حدثت هذه المفاضلة بين العرب والعجم، حدثت أيضاً بين العدنانية والقحطانية[1].

وقد استنتج أحد الكتاب، أن لفظ الشعوبية مأخوذ من الشعوب جمع (شعب) وهو جيل من الناس وأوسع من القبيلة وأشمل، ثم عقد على رأي القدامى بقولهم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة[2].

أو أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[3] والمراد بالشعوب بطون العجم، وبالقبائل قبائل العرب، وهذا تفسير شعوبي غير صحيح، وقد ذهبوا بالقول إلى أنَّ الشعوبية نزعة أكثر منها عقيدة[4].

ويعد أحد الباحثين المعاصرين الشعوبية فكرة أو نزعة عدائية كانت مستقرة في نفوس الموالي ـ إلا من عصم الله ـ قبل ظهور الإسلام، والفتوحات الإسلامية ودخول هؤلاء فيه[5].

---

(1) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، ج1، (القاهرة، 1950م)، ص 35.

(2) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط5، ج1، (القاهرة، 1956م)، ص 57.

(3) سورة الحجرات، من آية 13.

(4) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص59.

(5) عبد الصاحب الدجيلي، الشعوبية وأدوارها التاريخية في العالم العربي، مطبعة القضاء، ط2، (النجف، 1960م)، ص 12.

ويرى كاتب آخر أن الشعوبية هي تسمية من الشعوب، أي العودة إلى ماضي الشعوب والتفاخر بعصبيتها الجغرافية والتاريخية، ونبذ رسالة العرب التي تهدف إلى خلق مجتمع جديد قوامه أن ليس للمرء إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى[1].

وتناولها أحد الباحثين من وجهة نظر أخرى، فاعتبرها مجموعة من جنسيات مختلفة، ونحل متنوعة وعقائد ومذاهب متباينة وعنصريات شتى في عدة أجناس وأخلاط من الناس، لا تجمعهم إلا جامعة الكره للعرب والتنكر لدين الإسلام وتعاليمه[2].

فالشعوبية ليست حركة فئة أو طبقة اجتماعية ـ إن جاز التعبير ـ بل إنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعزعة السلطان العربي أو لإضعاف الإسلام وإرباكه، ولصد تيار الثقافة العربية الإسلامية ونسف التراث[3].

والشعوبية عند المفكرين المعاصرين هي حركة شاملة أطلقت على كل من ناهض العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب، وقام ينقص من قدر حضارتهم وتاريخهم لغرض في نفسه لا يخفى على أرباب البصائر[4].

---

(1) إبراهيم العدوي، المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية، مكتبة النهضة، (القاهرة، 1961م) ص 12.

(2) عبد الهادي الفكيكي، الشعوبية والقومية العربية، ومناهضة الشعوبية، مكتبة النهضة، (القاهرة، 1961)، ص 121.

(3) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 13.

(4) سميرة مختار الليثي، الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1968م)، ص 74.

ومنهم من رأى الشعوبية حركة معادية للعروبة والإسلام، ظهرت بمظاهر متعددة قسمت هذه المظاهر إلى مجموعتين، مظاهر معادية للإسلام كعقيدة ونظام أطلق عليها اسم الشعوبية الدينية ـ ومظاهر ناوأت العرب العداء وتناولتهم بالطعن وشوهت حضارتهم وأشادت بحضارة غيرهم وهذه أطلق عليها ـ الشعوبية العنصرية[1].

وقد تمثلت الشعوبية الدينية في حركتين أساسيتين هما الغلو[2]، والزندقة[3]. وهاتان الحركتان تظاهرتا بالإسلام ستاراً لنشاطهما.

ويرى أحد الكتاب المحدثين أن الشعوبية لم تكن حزباً ولم تكن عقيدة محددة المعالم ذات شعائر بعينها شأنها شأن المذاهب الدينية، إنما هي ضرب من السلوك الجمعي بدأ لدى الموالي بأوقات متفاوتة وحجوم متباينة، فالشعوب على رأيه نزعة يصدق عليها وصف الظاهرة الاجتماعية[4].

---

(1) عبد اللّه سلوم السامرائي، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1980م) ص 47.

(2) الغلو: هو تجاوز الحد في الدين، وقد ظهرت في خلافة الإمام علي (كرم الله وجهه) وهي مرتبطة بعبد اللّه بن سبأ. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص10؛ وينظر عبد اللّه سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1972)، ص 73.

(3) الزندقة: لفظ فارسي معرب أطلق على عدة معانٍ مختلفة، والزنديق الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان؛ ينظر: ابن كمال باشا، رسالة في تصحيح لفظ الزنديق، تحقيق، حسين علي محفوظ، مجلة كلية الآداب، العدد 5، (بغداد، 1962م)، ص 1.

(4) محمد عويس، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، دار الثقافة (القاهرة، 1977م) ص 382.

ويطالعنا كاتب آخر بتعريف الشعوبية، بأنها العمل على تفريق العرب وهدم وحدتهم بتقويض أركان الدين الإسلامي وإفساده بتفضيل العناصر غير العربية وإنكار أي فضل للعرب[1].

واتخذها أحد الكتاب بأنها حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب وحدد المكان الذي ظهرت فيه، وكان العراق المسرح الذي ظهرت عليه، وعلل ذلك لأنه ملتقى العنصر العربي الغالب بالعنصر الفارسي، أما زمانها فهو النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وبقيت مستترة طوال العصر الأموي[2].

وهناك دراسة حديثة تناولت موضوع الشعوبية بكونها فكرة سياسية أدبية اتخذت الدين ستاراً لها ونشأت عنها حركات بعضها أدبي، وبعضها ديني، وبعضها سياسي[3].

ومن الكتَّاب المحدثين من عدّ الشعوبية حركة فكرية اجتماعية، قامت بها جماعات غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وإرثه الحضاري، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية، ومهاجمة التراث العربي الإسلامي، والتشكيك بدور العرب التاريخي، والاستهزاء بالقيم والمثل العربية، مقابل الاعتزاز

---

(1) محمد نوري العباسي، الشعوبية والشعوبيون وأفكارهم، مجلة آفاق عربية، العدد 10، السنة الثانية (بغداد، 1983م) ص 82.

(2) حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل (بيروت، 1984م)، ص 149.

(3) زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، المكتب الإسلامي، (بيروت، 1988م) ص 22.

بالإرث الحضاري الأعجمي، والتمجيد بالقيم والسجايا غير العربية، وإحياء الثقافات الأعجمية[1].

ويعرِّفها باحث آخر بأنها ليست إلا دعوة كيدية عنصرية تدعو إلى الانفصال وإلى الإقليمية وإلى القوميات المحلية المنفصلة، وإلى قصر النظر داخل حدود الدولة التي ينتسبون إليها من غير أن يفكروا بما وراءها إلا إذا كان ذلك فيه سيطرة وسيادة بالنسبة إليهم[2].

وعدها أحد الباحثين المعاصرين، بأنها تيار داخل الثقافة العربية في مرحلة تاريخية امتازت بسيطرة العرب المسلمين على امبراطورية واسعة تتحكم بشرايين الاقتصاد العالمي، وانتشرت في أرجاء هذه الامبراطورية ثقافة عربية تطورت في فترة وجيزة لتمتص الإرث الحضاري الشرقي واليوناني وتتقدم بالركب الإنساني خطوات إلى الأمام[3].

واعتبرها أحد الباحثين المحدثين حركة مطلقة لا تنحصر في زمان ولا في مكان وأنها حاربت العرب في قيمهم، وأنسابهم

---

(1) فاروق عمر فوزي، مباحث في الشعوبية، مطبعة الفنون، (بغداد، 1989) ص 11؛ التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مؤسسة المطبوعات العربية (بيروت، 1980م) ص 141.

(2) صلاح الدين منسى محمد، الاتجاهات الشعوبية وأثرها على القيم العربية، دراسة للصراع الثقافي بين الفرس والعرب، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، (بغداد، 1990م)، ص 116.

(3) عبد الودود عبد الله، الخطاب التاريخي المعاصر، نموذجان حول الشعوبية، بحوث الندوة القومية، ج1، ص 178.

وطعنت بها، وفي ثقافتهم فلم تترك أصلاً من أصولها إلا ونسبته إلى غيرهم، وفي مثلهم العليا وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، وقال في معرض هوية الشعوبية: «إنها ليست تنظيماً معيناً لندرس ظروف نشأته أو حركة ثقافية لنبحث في مؤثراتها ومصادرها أو تياراً سياسياً لنتتبع أسباب قيامه، إنما هي سلوك عدائي اتخذ طابعاً معقداً غير سوي ومن هنا تكمن خطورته لأن من شأنه أن يستمر طالما ظلت العقدة التي وراءه كامنة في أعماق الشخصية القومية، فهي عقدة ضد الحضارة[1].

ومجمل القول، أن الشعوبية، حركة أعجمية شاملة ذات طبيعة عدوانية ومنطلقات عنصرية موروثة ارتبطت بالفرس ارتباطاً محكماً فكراً وأسلوباً ومنهجاً، هدفها تشويه قيم العروبة والإسلام لهدم أحدهما واحتواء الآخر بفكر فارسي شعوبي[2].

أما المستشرقون فقد اهتموا بدراسة الشعوبية من وجهة نظرهم وتناولوا دراسة التاريخ العربي الإسلامي، فظهرت دراسات تمجد حضارة العرب وتاريخهم وأخرى تشوه هذه الحضارة ولا تذكر الحقيقة وثالثة تعبر عن الحقد والتهم ضد التاريخ العربي الإسلامي، وهذا ما يجعلنا نراجع كل الدراسات الاستشراقية وغربلتها وتقويمها بما يناسب فكر وعادات وتقاليد تراث العرب المسلمين ونظرتهم للحياة.

---

(1) عماد عبد السلام رؤوف، الشعوبية محاولة لفهم جديد، بحوث الندوة القومية، ج1، ص 42.

(2) حسن فاضل زعين، مسالك الدس الشعوبي في الحياة الاجتماعية والمثل الأخلاقية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 43، (بغداد، 1990م)، ص 128.

وإذا التمسنا رأي أحد المستشرقين بالشعوبية وجدنا أنه يعدها حزباً، ويدعم رأيه هذا بأنهم جماعة المفكرين والكتاب الذين يمثلون خلاصة جماعة كبيرة يدعون باسم القرآن والسنة إلى المساواة بين العرب وبين غيرهم من مسلمي الشعوب الأخرى، وأن هذه الجماعة أو الحزب لم تكن ثورية النزعات وإنما اعتمدت في نشر دعوتها على المناهج الأدبية، وتصور أن الشعوبية حزب فكري قام على القوة المعنوية أكثر من قيامه على القوة أو المقاومة المادية[1].

وقد خالف أحد المستشرقين هذا الرأي ولا يرى في الشعوبية حزباً، ولكنه يرى فيها حركة دينية لها طابع سياسي اجتماعي إسلامي[2].

ويذهب مستشرق آخر في تفسير المعنى العام للشعوبية بأنها حركة مساجلات أدبية لمقاومة فكرة السيادة العربية في ميادين الفكر، ولكن هذه الحركة لم تلبث أن اتجهت على أيدي المفكرين من الفرس اتجاهاً دينياً معيناً يحمل في طياته بذور الإلحاد والزندقة[3].

ويقول أحد المستشرقين: «إن كلاً من هؤلاء الشعوبيين كان

---

(1) Goldziher. Agnas. Muhammed anische studien. vol 2. Hallen-1888 (Niemeyer, 1889) p.147.

(2) ولهاوزن يوليوس، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية (دمشق، 1956م)، ص 506.

(3) Hitti, Philip, History of the Arab. (London, 1937) p.402.

يفاخر بأصله ولكن أشدهم حماساً وأكثرهم عصبية هم الفرس»[1].

وهكذا يتبين لنا أن الهدف من كتابة المستشرقين كان ينطوي على نزعة عنصرية لا لخدمة العلم والثقافة، فكانت كتاباتهم تعطي انطباع العنف السياسي والاحتقار العرقي محل الحكم المنطقي للوقائع والأحداث التاريخية[2].

---

(1) Browne, Edward, Aliterary History of Persia (London, 1909) p.266.

(2) حسين عبد الرحمن باسلامة، الاستشراق بين السلب والإيجاب، بحث نشر في وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج3، ص 177؛ إدوارد سعيد، الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت، 1981م)، ص 143.

الشعوبية بين الظهور والتطور

ظهرت الشعوبية حيث لا يعلم الشعوبيون أنهم ظهروا، لأنها كانت أول أمرها نزوعاً منحرفاً، ولوثةً عرقية مبعثرة في العقل الفارسي[1]، تصدر عن (العقدة الفارسية)[2] المدمرة لكل فكرة أو قيمة بوصفها مركب نقص تجاه كل الحضارات العربية، لهذا يتعذر تحديد بداية الحركة الشعوبية تحديداً زمانياً، لأن بداية هذه الحركة كانت محاطة بالغموض وعملت في جو من الحذر

---

(1) طالب جاسم الحسن، البعد التاريخي للحركة الشعوبية، بحوث الندوة الفكرية الثالثة المعنون الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر الإسلامي، مطبعة الإرشاد (بغداد، 1988م)، ص 25.

(2) يقصد (بالعقدة الفارسية)، مركب النقص الفارسي تجاه العراق والأمة العربية بكل ما تمثله هذه الأمة من قيم حضارية ومثل خلقية اجتماعية وتعابير دينية، والذي تبلور إلى موقف عدائي ثابت عبر عصور التاريخ المتعاقبة، للمزيد من المعلومات ينظر: فاروق عمر فوزي، العقدة الفارسية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 178، (بغداد 1984م)، ص 10؛ عماد عبد السلام رؤوف، الشعوبية محاولة لفهم جديد، بحوث وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج1/ ص 46.

والكتمان[1]، كما وأنها لم تكن حزباً سياسياً أسس بقرار رسمي أو عقيدة دينية بدأت مع تنظيرها وجهود التبشير بها، ولهذا يمكن القول عن الحركة الشعوبية بأنها لم تبدأ دفعة واحدة، وإنما تشكلت وتنامت عبر زمن من تداخل سلوك ومواقف الموالي المعادية لأمة العرب وظهور حركاتهم التي قرنت بظهور الشعوبية[2].

وإذا أردنا أن نحدد البدايات الأولى للشعوبية فلا بد من الإشارة إلى بدايات العداء الفارسي للعرب، ويحسن بنا أن نذكر تاريخ هذين الشعبين بإيجاز، فالعرب شعب عريق يرتبط مع غيره من الشعوب بروابط اللغة والأصل وغيرها[3]، وقد أجمع الباحثون على أن مهد العرب هو شبه الجزيرة العربية، لذلك فإنهم أصدق الشعوب وأحفظهم للخصائص الأصلية[4].

تاريخ الفرس تكتنفه الأساطير[5] وأغلبية سكانه من الأصل الآري ويتحدثون اللغة الآرية[6]، وقد عاش الفرس مع الميديين ثم اتحدوا باسم فارس، من خلال هذا يتبين لنا أنه لم تكن ثمة علاقة

---

(1) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 14.

(2) بندلي، جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، (بيروت، 1977م) ص 45.

(3) Nichalson, Reynold, Aliterary History of the Arab (London-1923). P.XV.XVI.

(4) Hadden, A.G. The Races of man and their distribution (New York-1925) P.103.

(5) Sykes. Elia, Persia and its people (London-1910) p.13.

(6) The Encyclopedia Britannica, 14 edition art-persia, vol 17 (New York-1939) .

بين العرب والفرس من الناحية الجنسية أو اللغوية[1]. وهذا يؤكد خلاف ما زعمت المصادر القديمة من أن العرب والفرس من أصل واحد[2].

أما الشعور المتبادل بين الشعبين، فإن العصبية القبلية كانت تسيطر على العرب قبل الإسلام، وازداد اعتزاز العرب بعروبتهم بعده مما أدى إلى إثارة الشعوبية وعجَّل بظهورها، فالعربي الذي يعتز بالانتماء لقبيلته ضد القبائل الأخرى هو بعينه يتوحد مع القبائل الأخرى ضد الأعاجم.

أما شعور الفرس نحو العرب فكانت علاقة الفقير بالغني والضعيف بالقوي، وكان الفرس ينظرون إلى العرب عامة نظرة السيد بالمسود، وعلاقة شعب يزهو بمجده ونفوذه وسلطانه بشعب لا يملك من هذا كله شيئاً[3].

وقد أحس العرب بكره واحتقار الفرس لهم، كما شعروا بغطرستهم ورغبتهم في إذلالهم وإخضاعهم والتطاول عليهم والشواهد على ذلك كثيرة، حفلت بها كتب التاريخ، ولعل أبرز هذه الشواهد موقف كسرى أبرويز لما وصله كتاب الرسول الكريم ﷺ يدعوه للإسلام فغضب ومزق الكتاب ولم ينظر فيه، ولم يكتف كسرى عند حد الرفض بل كتب إلى عامله على اليمن

---

(1) زاهية قدورة، الشعوبية، ص 28.

(2) زاهية قدورة، الشعوبية، ص 27.

(3) المقريزي، تقي الدين (ت،845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، مطبعة النيل ج2، (القاهرة، 1324 ـ 1326هـ) ص 361.

كتاباً يقول فيه: «ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به»[1]، وذكرت بعض المصادر أنه لما قرأ رسالة الرسول ﷺ قال: «يكتب إليّ هذا وهو عبد من عبيدي»[2]. هذا من جهة شعور الفرس نحو العرب.

وهناك موقف يدل على شعور العرب من الفرس ولعل أبرز هذه المواقف، موقف النعمان بن المنذر من كسرى أبرويز حينما أراد أن يتزوج ابنته، فأبى النعمان وقال لرسول كسرى: «أما في عين السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا»؟ وحينما سأل كسرى عن كلمة (عين) قيل له هي البقر فغضب وحقد على النعمان واحتال للإيقاع به، وكان هذا الموقف من أسباب اندلاع معركة «ذي قار» التي انتصر فيها العرب على الفرس[3] وقد خلد الرسول محمد ﷺ هذا اليوم المشهود بحديثه الشريف: **«هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا»**[4].

---

(1) الطبري، محمد بن جرير، (ت،310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الحسينية، ج3 (القاهرة، 1326هـ) ص 90؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 225.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص 665.

(3) اليعقوبي، أحمد (ت، 284هـ)، تاريخ اليعقوبي، ج1، (النجف،1358هـ)، ص 175؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، (القاهرة، 1977)، ص 148؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 294؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت،356هـ)، الأغاني، مطابع كوستا توماس وشركاؤه، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب (القاهرة، 1970م)، ص 29؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت،630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر ج1، (بيروت، 1965م)، ص 289.

(4) الطبراني، المعجم الكبير، ج2، ص 46؛ الهيثمي، نور الدين علي بن =

وعلى كل حال يمكن القول إن الشعوبية لم تبدأ دفعة واحدة وإنما تشكلت وتنامت عبر زمن من تداخل سلوك الموالي ومواقفهم المعادية للعرب، ولم نعثر في الروايات التي وصلت إلينا تحديد تاريخ لبداية الشعوبية، فالذين كتبوا في الشعوبية قديماً لم يكونوا مؤرخين إنما من وضع مفكرين ومثقفين فهي ليست حديثة المنهج إنما فلسفية[1]. ولكن الدراسات الحديثة تقدم جهداً في هذا الموضوع، كما مر بنا آنفاً، رغم التناقض البادي فيه، لذلك يصعب الاستدلال من ظهور مصطلح الشعوبية على بدايتها، إذ وصل إلينا من نشاط المفكرين أن نشأة هذا المصطلح تعود إلى منتصف القرن الثالث الهجري[2]، بينما يشير أحد المؤرخين أن هناك علامات تدل إلى بدء ظهورها في العصر الأموي وظهر بعض ممثليها في مطلع القرن الثاني الهجري[3]، ويمكن القول إن الحركة الشعوبية لم تكن واسعة النشاط في هذا العصر، لأن أبعادها لم تكن قد اكتملت بعد فضلاً عن صعوبة الأجواء السياسية آنذاك، ويمكن تلخيص نشاطها في ذلك العصر بأنه ركز جهده لاستقطاب الفرس وبلورة تجمع فارسي مرتبط بجذور فارس القديمة، يناوئ العروبة والإسلام فكراً وسلوكاً، متستراً خلف ستار الدين[4].

= أبي بكر، (ت،807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، ج6، (القاهرة، 1353هـ)، ص 211.

(1) نزار وسعيد عبد اللطيف الحديثي، الشعوبية نشأتها وتطورها،ص 19.

(2) جب هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، (بيروت، 1964م) ص 89.

(3) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 14.

(4) طالب جاسم الحسن، البعد التاريخي للحركة الشعوبية، ص 27.

ويذكر باحث آخر أن الشعوبية لم تكن موجودة في عصر ما قبل الإسلام، ويعزو السبب إلى أن العوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية لم تكن قد تفاعلت، فضلاً عن أن العرب لم يكونوا أمة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة اليوم كي يواجهوا الفرس، واستنتج إلى أن الشعوبية كانت جنيناً في صدر الإسلام وبدأت بطابعها العنصري في العصر الأموي[1].

بينما يطالعنا باحث آخر باستنتاج مخالف وهو أن الحركة الشعوبية بدأت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وبقيت متسترة طوال العصر الأموي، حتى نجح العباسيون في إنشاء دولتهم واستخدموا الموالي، وأسندوا إلى بعضهم شيئاً من المسؤولية فقويت حركة الشعوبية بينهم[2].

ويعلل باحث آخر أن التنافر الذي حصل بين العرب والفرس في العصر الأموي أدى إلى ظهور بوادر الشعوبية التي بدأت تنادي بمساواة العرب بالموالي، ثم تطورت في العصر العباسي فصارت تنادي بأن الفرس أرفع درجة من العرب[3].

ويقول أحد الباحثين المحدثين إن الشعوبية لم تكن مقتصرة على عصر معين دون غيره من العصور، وإنما هي حركة ظلت

---

(1) زاهية قدورة، الشعوبية، ص 41؛ فاضل زكي محمد، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1976م)، ص 322.

(2) حسين عطوان، الزندقة والشعوبية، ص 149.

(3) سميرة مختار الليثي، الزندقة والشعوبية، ص 41.

تعمل ضد العرب وضد المبادئ الإسلامية طيلة العصور العربية الإسلامية المتوالية مبتدئة من عصر الإسلام، بل إن جذورها تمتد إلى العصر الذي سبق الإسلام[1].

ويقسم باحث آخر مراحل الشعوبية إلى مرحلتين ولكل مرحلة خصائصها ومقوماتها، المرحلة الأولى هي الطور القديم والذي يمتد من مولد الدولة العربية الإسلامية وحتى القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي، وتضمنت هذه المرحلة تعريفاً لغوياً للشعوبية بأنها حركة تنطوي على تحقير أمر العرب من قبل الأمم، وجاءت هذه المرحلة بتحديات للأمم المغلوبة من شأن العرب، وهذه التحديات يمكن حصرها بزوال الأنظمة السياسية المتداعية وقيام الحكم الإسلامي العادل، وقيامها بالدس الشعوبي على العرب وتمجيدها لماضيها بتزييف الحقائق التاريخية والحط من شأن العرب والنيل منهم، ومن الشواهد التاريخية على ذلك قيام مؤرخي الفرس بادعائهم أن سابور الأول قد سمي ذو الأكتاف لأنه غزا العرب في عقر دارهم وخلع أكتافهم[2]، ولكن المصادر البيزنطية حفظت الحقيقة التاريخية في وجه تزييف الشعوبيين الفرس، فذكرت أن أذينة ملك تدمر وحليف الروم قد طارد سابور

(1) زكي مبارك، الشعوبية من قادسية سعد إلى قادسية صدام محاولة لربط المفهوم بين ماضيه وحاضره، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج1، ص 92.

(2) الأصفهاني، حمزة بن الحسين (ت،350هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، تحقيق جوتوالد، (طبعة ليسك، د.ت)، ص 47.

بعد هزيمته إلى المدائن عام 271م[1]، وثاني هذه التحديات هو غلبة العربية على اللهجات واللغات المحلية لتلك الأمم، فضلاً عن غلبة الدين الإسلامي على الديانات والنحل التي كانت سائدة بين شعوب البلاد المفتوحة[2].

أما المرحلة الثانية فهي الطور الحديث الذي يبدأ ببداية الحروب الصليبية حتى يومنا هذا، ولكن جذور هذه المرحلة تمتد إلى أيام الإسلام حينما دخل في صراعه مع اليهودية والمسيحية[3].

من خلال هذا تبين لنا أن الجذور التاريخية لنشأة الدس الشعوبي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتبوّؤ العرب مكانة عالمية بفضل ما خصهم الله من خصائص وصفات قيضت لهم أسباب الوحدة السياسية[4].

ويتجلى لنا من خلال ما تقدم أن الشعوبية حركة أعجمية معادية للعروبة والإسلام، حمل لواءها فئات غير عربية، غالبيتهم من

(1) البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت، 488هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ج1، (بيروت، د.ت)، ص 306.

(2) بشير إبراهيم بشير، حول الجذور التاريخية للدس الشعوبي، بحوث الندوة القومية، ج1، ص 138.

(3) ابن هشام، محمد بن عبد الملك، (ت،218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، ج2، (القاهرة، 1937م)، ص 143.

(4) بشير إبراهيم بشير، المرجع السابق، ص 141.

الفرس تظاهرت بالإسلام بهدف ضربه واجتثاث كل ما للعرب من تاريخ وحضارة وتراث، وكل ما جاء به الإسلام من قوانين ونظم وقيم ومبادئ إنسانية[1].

(1) سعاد جواد حسن، الخليفة المهدي العباسي، سياسته الداخلية والخارجية (158 ـ 169هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية الأولى، (جامعة بغداد، 1990م)، ص 188.

الفصل الثاني

أساليب وأهداف الحركة الشعوبية

أساليب الحركة الشعوبية

لكي نتوصل إلى أساليب وأهداف الحركة الشعوبية، علينا أن نعرف مظاهر هذه الحركة المعادية للعروبة والإسلام، فمظاهر الحركة الشعوبية تتمثل بمظهرين: الأول مظهر ديني والثاني مظهر عنصري، ولكي تتسلل الشعوبية إلى داخل الفكر الإسلامي ومحاولة تخريبه تظاهرت بالدين وتسترت بستار الإسلام، وتمثل هذا المظهر بحركتين أساسيتين ظهر من خلالهما نشاطها المعادي، وهما حركة الغلو والحركة الثانية حركة الزندقة، فالغلو أسلوب من أساليب مقاومة الإسلام يهدف إلى هدمه، ويعد هذا الأسلوب من أخطر وأشد الأساليب فتكاً لأنه يعمل على محاربة الإسلام من الداخل عن طريق التظاهر به والعمل تحت شعاره[1].

وقد استطاعت حركة الغلو أن تواصل معركتها لأنها كانت تسير بخطى موازية للإسلام ولم تعلن تناقضها معه ولا محاربتها له،

(1) عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص 7.

فكانت عملية التستر هذه وسيلتهم البارعة لمواصلة عمليات الهدم والتخريب، ولكنها لم تستطع أن تحقق أي هدف من أهدافها لأنها انكشفت وتساقطت قبل ذلك.

والغلو لغة، هو تجاوز الحد، ومجاوزة القدر في كل شيء وهو نقيض التقصير، وغلا في الدين يغلو، جاوز حده وأفرط فيه[1]، وقد ورد في القرآن الكريم، مادة الغلو في عدة مواضع، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[2] وقوله جلت قدرته: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]، وجاء في الحديث الشريف عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قوله: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[4] أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، لأن دين الله بين الغلو والتقصير، الحق بين طرفي الإفراط والتفريط[5].

---

(1) الراغب الأصفهاني. أبو القاسم حسين بن محمد (ت،565هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، د.ت)، ص 362؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة غلو، ج15، ص 131.

(2) سورة النساء، آية 171.

(3) سورة المائدة، آية 77.

(4) ابن حنبل، المسند، مطبعة الحلبي، ج1، ص 215؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي، (ت، 303هـ)، السنن، دار إحياء التراث العربي، ج5، (بيروت، د.ت)، ص 268.

(5) عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة الإرشاد (بغداد، 1967م) ص 49.

أما الغلو اصطلاحاً، فهو الخروج عن الدين وهو لا يختلف عن معناه اللغوي، وقد تناول القدماء من رواة ومؤرخين هذه الحركة وقالوا فيها كل حسب وجهة نظره، ومنهم من قال: «إنما سموا الغالية، لأنهم غلوا في عليّ وقالوا فيه قولاً عظيماً»[1]، وقال غيره. «الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام إلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى، إذ إن اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الغلاة»[2]. ومنهم من وصف الغلاة بأنهم الذين تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية الأئمة، «إما أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية»[3]. وقال أحد القدماء: «الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكفر والقتل والتحريق

---

(1) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت،324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ج1، (القاهرة، 1950م) ص 5.

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 173.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت، 808هـ)، المقدمة، دار القلم (بيروت، 1978م) ص 198.

بالنار، وقضت عليهم الأئمة بالإكفار والخروج عن الإسلام»[1].

وتشير المصادر إلى أن بداية الغلو مرتبطة بعبد اللّه بن سبأ وهو يهودي يماني عاصر الاحتلال الفارسي لليمن، وكان أول من كفر وأظهر الغلو في الدين[2] وإليه تنتسب فرقة السبئية وهي إحدى الفرق الغالية، ويتصل الغلو عند ابن سبأ بجذور يهودية وأخرى ثنوية[3]. وإذا أمعنا في مبادئ وآراء حركة الغلو لرأينا أثر اليهودية والمسيحية واضحاً في آراء بعض الفرق الغالية[4] فضلاً عن تأثرها بالمعتقدات الهندية القديمة، مثل تأثرها بفكرة الحلول والتناسخ[5].

وعلى الرغم من أن عدداً من المؤرخين والرواة أكدوا ظهور عبد اللّه بن سبأ، فإن هناك غيرهم يذهب إلى أن شخصية عبد اللّه بن سبأ شخصية وهمية لا وجود لها، وسواء صح هذا أم

---

(1) المفيد، الشيخ محمد بن نعمان (ت، 363هـ)، شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد، مطبوع مع أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تقديم وتعليق هبة الدين الشهرستاني، المطبعة الحيدرية (النجف، 1973م) ص 257.

(2) ابن قتيبة (ت، 276هـ)، المعارف، تحقيق محمد إسماعيل عبد اللّه الصاوي، المطبعة الإسلامية (القاهرة، 1934م) ص 267.

(3) النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (ت، 817هـ)، فرق الشيعة، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف، 1936م) ص 19 ـ 20؛ عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة (القاهرة 1946م) ص 227.

(4) الديلمي، محمد بن الحسن (ت، 711هـ)، قواعد عقائد آل محمد، تحقيق وتقديم محمد زاهر الكوثري، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1950م)، ص 53.

(5) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت، 440هـ)، الفلسفة الهندية، تحقيق عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مطبعة أحمد علي مخيمر (القاهرة، د.ت) ص 52.

لم يصح، إلا أن الأهم هو صحة وجود الآراء الغالية والأفكار التي عملت على مناهضة الإسلام والمبادئ التي كانت تحارب الإسلام لهدمه[1]. لأن الفرق الغالية استغلت آيات من القرآن الكريم وأخذت تفسرها وفقاً لهواها لدعم آرائها ومواصلة نشاطها، فالفرقة البيانية التي تنسب إلى بيان بن سمعان والتي ظهرت أيام الأمويين، فسرت قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[2] حسب رأيهم أن الله يفنى جميعه إلا وجهه. وفسرت قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[3] أن المقصود بهذه الآية هو بيان بن سمعان صاحب البيانية[4].

ولم تكتف الفرق الغالية عند هذا الحد، بل تطاولوا على النبي محمد ﷺ وعلى صحابته والخلفاء الراشدين من بعده، فقاموا بتأويل الآيات القرآنية، فقالت المغيرية وهي إحدى الفرق الغالية وتنسب إلى المغيرة بن سعيد في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[5] وفسروا الظلوم والجهول (لعنهم الله تعالى) بأنه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقالت في تأويل قوله

---

(1) مرتضى العسكري، كتاب عبد الله بن سبأ ـ المدخل، دار التضامن (بغداد، 1955م) ص 50.

(2) سورة الرحمن، آية 27.

(3) سورة آل عمران، آية 138.

(4) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص 66؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 227.

(5) سورة الأحزاب، آية 72.

تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[1] وقصدوا بالشيطان (قبحهم الله تعالى) بأنه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[2].

وزعمت فرقة المنصورية وهي من الفرق الغالية التي تنسب إلى (أبي منصور العجلي) أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[3] وكان أبو منصور العجلي أمياً ادعى الإمامة وقال بالتأويل، وزعم أن الوحي يأتيه من عند الله وأنه بعثه بالتأويل وبعث محمداً بالتنزيل[4].

واستعملت بعض الفرق الغالية تأويل الآيات القرآنية من أجل هدم الدعائم العملية للإسلام، فترى فرقة الجناحية وهي فرقة غالية تفرعت عن الهاشمية، قالت في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5] زعموا أن كل مؤمن يوحى إليه أي يوحى منه إليه، واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[6] ادعوا في أنفسهم أنهم هم الحواريون وذكروا قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[7] وقالوا إذا جاز

(1) سورة الحشر، آية 16.
(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 227.
(3) سورة الطور، آية 44.
(4) النوبختي، فرق الشيعة، ص 60.
(5) سورة آل عمران، آية 145.
(6) سورة المائدة، من آية 111.
(7) سورة النحل، آية 68.

الوحي إلى النحل فالوحي إلينا أولى بالجواز[1].

واعتمدت فرقة الكيسانية وهي من الفرق الغالية وتنسب إلى (المختار بن أبي عبيد الثقفي) وقد انقسمت فيما بعد إلى عدة فرق، في القول بالبداء على تأويل قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2] فضلاً عن هذا أولت فرقة الكيسانية مبادئ الإسلام بشكل يؤدي إلى سقوطها، وقالت: «إن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل أركان الشريعة من الصلاة والصيام والزكاة... وغير ذلك»[3].

أما فرقة الخابطية نسبة إلى أحمد بن خابط المتوفى سنة 232هـ، وتذكر بعض المصادر أن صاحبها هو أحمد بن حابط فقد أولت قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[4] وتأويلهم هذا هو هدم لمبدأ النبوة حيث جعل النبوة عامة في جميع الأمم من إنسان وحيوان[5].

هذا قسم من الفرق التي استخدمت التأويل في تفسير الآيات القرآنية، ولم تذكر كل الفرق التي اعتمدت التأويل كمبدأ في

(1) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 235.
(2) سورة الرعد، آية 39.
(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 147.
(4) سورة الأنعام، من آية 38.
(5) الفخري، علي بن محمد عبد الله (عاش في القرن التاسع الهجري). تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، تحقيق رشيد البندر، دار الحكمة (لندن، 1994)، ص 99.

خصوم الإسلام، والذي أردناه هو معرفة مظاهر الحركة الشعوبية التي كانت تقوم على مبدأ معاداة الإسلام، ومن استعراض تأويل هذه الفرق يمكن القول إن التأويل الذي استعملته الفرق الغالية يتوزع إلى درجات، منها التأويل المقبول الذي لا يؤدي القول به إلى دفع الآيات القرآنية والمبادئ الإسلامية عن معانيها الأصلية، أما النوع الثاني من التأويل فهو التأويل الغالي وهو من أخطر الأنواع التي اعتمدها الغلاة لمحاربة الإسلام لأنه يقع في تأويل الأصول والعقائد ويخرجها عن مدلولاتها الحقيقية وهذا النوع من التأويل اعتمد عليه معظم الفرق الغالية، أما النوع الثالث الذي يعد من أعقد درجات التأويل فهو تأويل التأويل[1].

ولم تكن مسألة استغلال الآيات القرآنية وتأويلها هي المسألة الوحيدة التي اعتمدت عليها الشعوبية المتمثلة بالفرق الغالية، فكانت هناك مسألة (الإمامة) وهي من المسائل المهمة في الإسلام التي استغلتها الفرق الغالية لوضع آراء غالية لهدم الدين الإسلامي، وكانت هذه وسيلة أخرى من وسائل الحركة الشعوبية اتخذتها لكي تحقق منها غرضين في وقت واحد، الأول: الإمعان في التستر والحفاظ على مواقفهم وعدم تعرضهم للاتهام والانتقام. والغرض الثاني: الإساءة لآل البيت من خلال إضفاء صفات عليهم لا يقرها الشرع وفي ذلك إساءة لمبدأ الإمامة[2].

---

(1) جولدزيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، (القاهرة، 1946م) ص 243.

(2) عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص 164.

وقد اتخذت كل فرقة من الفرق الغالية واحداً من الأئمة للعمل من خلاله والتستر باسمه، على الرغم من تبرؤ الأئمة من هؤلاء الملحدين، وقد أشار الشهرستاني إلى هذه المسألة فقال: «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان»[1]. ولم تكتف هذه الفرق عند هذا الحد بل غلت بحق الأئمة وجعلتهم بمصاف الأنبياء مما دعا الأئمة إلى البراءة منهم ومحاربتهم، فكانت فرقة السبئية تقول في الإمام علي ﷺ إنه إله، وفرقة الجناحية تقول إن الله تعالى روح يحل في بعض بني آدم ويتوارث[2]، وذهب قسم من الفرق إلى التطاول على الجليل الخالق فنفوا الربوبية وقالوا إن البدن مسكن لله وإن الله نور وروح ينتقل في هذه الأبدان[3]، ولم يكتفوا بهدم مبدأ الألوهية وإنما ذهبوا إلى سائر المبادئ الإسلامية الأخرى فقالوا بإنكار رسالة النبي محمد ﷺ[4].

ومن خلال ما تقدم يمكن إجمال آراء هذه الفرق الغالية الرامية إلى هدم ثلاثة مبادئ إسلامية متسترة بالإسلام للوصول من خلاله إلى زعزعة الصف الإسلامي وتشويه الشريعة الإسلامية، وهذه المبادئ هي: مبدأ الألوهية، والنبوة، والإمامة، لكن المسلمين كانوا لها بالمرصاد.

---

(1) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 21.

(2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت،790هـ) الاعتصام، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ج3، (بيروت، د.ت) ص 48.

(3) النوبختي، فرق الشيعة، ص 28.

(4) الشاطبي، المصدر السابق، ص 48.

أما الحركة الثانية التي حاولت التغلغل إلى أعماق الدين الإسلامي والتستر بستاره فهي حركة الزندقة التي تعد مظهراً من مظاهر الشعوبية الدينية، إذ ارتبطت بالشعوبية ارتباطاً وثيقاً، هؤلاء الزنادقة رأوا أنهم لا يستطيعون إفساد العقيدة الإسلامية إلا بالانتساب إليها وبعد ذلك يقومون ببث تعاليمهم في جميع العلوم والآداب فهؤلاء كانوا يتزندقون تزندقاً علمياً، وكانت آراء ومعتقدات هؤلاء الزنادقة كلها مناهضة للإسلام وعملت على محاربته، وقد توزعت الزندقة إلى عدة فرق وحركات عملت على محاربة الإسلام وتشويه مبادئه، وكما عملت الفرق الغالية في التظاهر بالإسلام ستاراً لنشاطها عملت حركة الزندقة بالتظاهر بالإسلام أيضاً، ووضعت آراءً ومبادئ على أسس الدين الإسلامي وفسروا آيات من القرآن الكريم يناسب أهدافهم ومعتقداتهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن الغلو ذكر في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ، بينما الزندقة لم تذكر في القرآن الكريم ولا في أحاديث الرسول ﷺ، وقد وجدت الزندقة في التظاهر بالإسلام وقاية لها، فتظاهرت المانوية بأداء بعض الفرائض الدينية التي لها شبه بين بعض طقوسهم والشعائر الإسلامية حتى يحققوا مآربهم التخريبية، وكان هؤلاء الزنادقة يعللون تسترهم هذا بأنه عادة وسنة لمسايرة الوضع القائم ولسلامة موقفهم، وكان هذا خير وسيلة للهجوم على الإسلام وهدمه.

من خلال هاتين الحركتين اتخذت الشعوبية وسائل وأساليب متعددة ومشتركة بين فرق الحركتين للعمل على هدم الإسلام،

وهذه الأساليب كانت ظاهرة وأخرى مستورة، اعتمدتها أساساً لمبادئها وصولاً للأهداف الشعوبية التي رسمتها لمعاداة الإسلام.

ويمكننا أن نجمل أبرز هذه الأساليب الموزعة إلى مجموعتين: الأولى وهي الأساليب والوسائل المستنبطة من المبادئ الشعوبية الدينية، والثانية أساليب ووسائل الشعوبية العنصرية.

فضلاً عن الأساليب المشتركة التي مرت بنا آنفاً، فقد حرصت الشعوبية على الانطلاق في دعوتها من قاعدة فكرية تقوم على التحلل من العقائد، واتخذت مذهباً شاملاً يجمع بين عقائد شتى متنوعة ومتباينة في أصولها ومصادرها، كان الغرض من هذا أن تستهوي الناس وتؤثر فيهم[1]، وقد علق على هذا الأسلوب إخوان الصفا فقالوا: «... وينبغي لإخواننا أيدهم الله أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعاً»[2]. هذه الفكرة اتخذتها الحركة الشعوبية من أجل أن يكون لها القدرة على معرفة الناس وكيفية التأثير عليهم بعد الوقوف على تكوينهم الفكري والديني والخلقي، وفي ذلك ينقل البغدادي على لسان أحدهم قوله: «فمن كان مائلاً للعبادات حمل على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها،

---

(1) برنارد لويس، أصول الإسماعيلية، ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، دار الكتاب العربي (مصر، د.ت)، ص 194.

(2) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، ج4، (بيروت، 1957م) ص 210.

ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له العبادة بله وحماقة وإنما الفطنة في نيل اللذات. . . ومن رآه شاكاً في دينه أو في المَعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات»[1].

هذه الوسيلة والتعليمات لا يمكن أن تصدر إلا من جهة منظمة لها خبرتها وتجاربها ولها معرفة ودراية في مجال التنظيم والدعاية ولها اطلاع بمعرفة الأديان والعقائد، ويمكن أن نطلق على هذا الأسلوب الذي اتبعته الشعوبية بالشمولية لأنه يجمع بين أصناف عدة وليس صنفاً واحداً من الأديان.

وكان هدفهم من هذه الوسيلة هو الإنسان، واختيار الأشخاص المناسبين لدعوتهم، فوضعت الحركة الشعوبية أسساً دقيقة لمعرفة الأشخاص لكسبهم إلى حركتهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي «وللقوم حيل في استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع، فإذا فحصوا في شخص نظروا في طبعه فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الإمامة والصدق وترك الشهوات، وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادة بله وأن الورع حماقة، وإنما الفطنة في اتباع اللذات في هذه الدنيا الفانية. ويثبتون عند كل ذي مذهب ما يليق بمذهبه، ثم يشككونه فيما يعتقده فيستجيب لهم إما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام، أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان لنيل آماله، أو شخص يحب

(1) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 180.

الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق أو رافضي يتدين بسبب الصحابة ﷺ، أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحررين في الدين، أو من قد غلبت عليه حب اللذات وثقل عليه التكليف»[1].

وهذا القول يجمل لنا فكرة الشمولية والجمع بين العقائد التي اتخذتها الحركة الشعوبية كقاعدة للانطلاق منها، وبعد ذلك تبدأ عملية توزيع الأشخاص وتصنفهم إلى درجات على أسس محددة من الأهواء والميول والعقائد والمذاهب، وهذه الدرجات التي وضعوها لاختيار الأشخاص هي: الذوق[2] والتأنيس[3]، والتشكيك في أركان الشريعة، والربط[4]، والتدليس[5]، والتأسيس[6]، والخلع[7]، ثم اللسخ[8]. إن عملية التقسيم هذه تقتضي أن يكون لكل مرتبة شروطها ومقوماتها الخاصة لها[9].

ولم يقف الأمر عند اختيار الأشخاص وتوزيعهم إلى أصناف

---

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت،597هـ)، تلبيس إبليس، مكتبة التحرير (بغداد، 1988م)، ص 112 ـ 113.
(2) وهو تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة أم لا.
(3) وهو استمالة كل واحد بما يميل إليه من زهد وخلاعة.
(4) وهو ما أخذ الميثاق بحسب اعتقاده أن لا يفشي لهم سراً.
(5) وهو دعوى موافقة أكابر الدين حتى يزداد ميله.
(6) وهو تمهيد يقبلها المدعو.
(7) وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.
(8) وهو الأخذ في استعمال اللذات وتأويل الشرائع.
(9) للمزيد من المعلومات عن هذه الدرجات وتعريفها ينظر: الشاطبي، الاعتصام، ج3، ص 66.

ومراحل، وإنما وضع كتب خاصة لكل مرحلة لتحويلهم عن عقائدهم الأولى إلى الإيمان بعقائد تتناقض مع مبادئ الإسلام[1].

ولنجاح هذا الأسلوب وتحقيق أغراضه، وتوفير الحماية لأشخاصه لأنهم عملوا بخلاف. ما كانوا عليه من عقائد، فإن هذه الحركة تظاهرت بوسائل كانت تهدف من خلالها إلى غايات غير الغايات الحقيقية، كان لا بد لها من سرية في عملها وهذه السرية تشمل سرية الوسائل وسرية الأهداف، فضلاً عن هذا فإنها تشمل سرية كل من انتمى إلى هذه الحركة وعمل من خلال تنظيمها، وقد أشار ابن النديم إلى هذه السرية عند كلامه عى أحد الشعوبيين واسمه عبد اللّه بن ميمون القداح قائلاً: «وقد كان قبل ابن القداح قريب ممن يتعصب للمجوس ودولتها ويجتهد لردها في أوقات منها بالمجاهرة ومنها بالحيلة سراً، فأحدثوا في الإسلام حوادث منكرة، وقد قيل إن أبا مسلم... رام ذلك وعمل عليه فأضرم دون ذلك»[2].

وقد تمسك الشعوبيون بالسرية حتى لا تنكشف الأهداف الحقيقية لحركتهم وإنما الوصول إليها بتكتم وبصورة غير مباشرة من أجل ضرب الأسس الإسلامية وقانونها القرآن والسنة، وفي هذا الصدد يقول ابن الجوزي: «ولما عجزوا عن صرف الناس عن

---

(1) جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، ترجمة محمد عبده، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1955)، ص 77.

(2) ابن النديم، محمد بن إسحق (ت. 383هـ)، الفهرست، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، د.ت)، ص 267.

القرآن والسنة صرفوهم عن المراد لهما إلى تخاريف زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا»[1].

وأمعن الشعوبيون في السِّرية والتشدد عليها من أجل التستر وعدم افتضاح أمرهم حتى يحققوا أهدافهم الحقيقية المعادية للإسلام، وقد عُلق على هذه السِّرية بقولهم «كان لشدة استتار الإمام إذا أخذ في حدود دينه العهد مستجيبين إلى دعوته يقول له: وإنك سمعاً وطاعة لولي العصر ولا يفوه باسمه وإذا ترشح في العلم وعلت درجته وارتفعت منزلته كتب له اسم الحجب ولا يكشف اسم إمامه ولا ينبه بإشارة ولا عبارة في كلامه إلا بحد بلغ الإطلاق واستحق كشف معرفة إمامه باستيجاب واستحقاق وجرى ذلك مدة الأئمة المستورين حتى طلعت شمس الحق من مغربها وأنارت آفاق الدين لكل متمسك بالعروة الوثقى»[2].

وأكد أحد المحدثين على منهج السرية التي انتهجها الشعوبيون بقوله: «فقد غمرت هذه الدعوة أمواجاً من السرية الدقيقة حتى التبس الأمر على المؤرخين»[3].

وإلى جانب السرية استفاد الشعوبيون من الجاسوسية في عملهم كوسيلة من الوسائل البارزة في نشاطهم، ولكي تصل هذه

---

(1) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 114.

(2) عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص 173.

(3) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، د.ت) ص 270.

الحركة إلى طول الأرض وعرضها كان لا بد من التعاون بين الدعاة والجواسيس، وقد وصف عملية التعاون وأثر الجاسوسية في نشاط هذه الحركة أحد الباحثين المحدثين بقوله: «ومن أهم ما يسترعي النظر حقاً في هذه المرحلة نظام الجاسوسية الإسماعيلية الدقيق فقد كان المهدي يعرف في دقة تامة الخطر الذي يتعرض له عن طريق الحمام الزاجل فيعرف أخبار العباسيين وأخبار أتباعهم في سلمية يعرف هذا كله بفضل دعاته المقيمين... إن جماعة الإسماعيلية كانت في ذلك الحين منظمة تمام التنظيم حتى أصبحت مثلاً أعلى للجاسوسية المنظمة في العصور الوسطى ولسنا نغلو إذا قلنا إن الجمعيات السرية اليوم وهيئات الجاسوسية في كافة أنحاء العالم تلاميذ لتلك الجاسوسية الإسماعيلية»[1].

فضلاً عن هذه الوسائل والأساليب التي استخدمتها الشعوبية لمعاداة العروبة والإسلام وهدم المبادئ الإسلامية، استخدمت وسيلة التظاهر بالمجون كوسيلة لستر معتقداتها وآرائها، وكأسلوب ناجح للهجوم على الإسلام، وكانت هذه الوسيلة هي لإبعاد تهمة الزندقة عنهم التي تعد مظهراً من مظاهر الشعوبية الدينية، وقد أدى هذا الأسلوب إلى تحقيق ما ترنو إليه الشعوبية، وكان المجون وسيلة لجذب الشباب إلى صفوفهم ومعتقداتهم، وتشجيعهم بمواصلة الشراب وممارسة مختلف أنواع المجون والمحارم والفسوق، ولم يبالوا بالحكم عليهم بالمجون لأنه أسلوبهم في

---

(1) حسن إبراهيم، عبيد الله المهدي، ص 173.

تحقيق مهمتهم، وقد اشتهر عدد كبير من الشعوبيين ممن اتصف بالمجون وأثروا تأثيراً كبيراً في انتشار مجالس اللهو والمجون والخلاعة التي أدخلوا فيها وسائل اللهو وأساؤوا إلى الحياة الاجتماعية الإسلامية فأدخلوا لعبة النرد وهي من وضع الفرس[1] ولعبة الشطرنج[2] وهي من وضع الهند لإشغال المسلمين بها وإبعادهم عن معتقداتهم ومبادئهم الإسلامية، وكثرت في تلك الفترة مجالس اللهو والسمر والمنادمة وزخرت بالمغنين والجواري والقيان والغلمان، وانتشر الشعر الخليع الماجن والعقائد الغريبة المليئة بالتخريف والإلحاد[3]، وقد استخدم الشعوبيون هذا الأسلوب لتوجيه ضربة عنيفة إلى الإسلام الذي يحث على مكارم الأخلاق والنهي عن ارتكاب المحرمات وخاصة الخمر والميسر، فعمل الشعوبيون على تزيين الخمر والميسر للناس وتشجيعهم على ارتكابه، وأدى هذا إلى ظهور مشكلة فقهية وإثارة الجدل والنقاش بين الفقهاء، واختلافهم في تحريمه وتحليله، حتى يبعدوا المسلمين عن مبادئهم الإسلامية وحقيقة الرسالة الإسلامية التي دعت إلى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وأداء الأعمال الحسنة التي تناقض الأساليب الشعوبية.

---

(1) الصولي، محمد بن يحيى (ت،336هـ) أدب الكاتب، المطبعة الحسينية (القاهرة، د.ت) ص 10.

(2) محمد مراد سكر، تاريخ الشطرنج، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 11، السنة الأولى، دار النشر العربية، (بيروت، أيلول، 1979م)، ص 88.

(3) زاهية قدورة، الشعوبية، ص 187.

وإلى جانب المجون وجدت الشعوبية في التظاهر بالظرف وسيلة أخرى للتستر على أعمالهم، كما أنهم وجدوا فيه أسلوباً لخداع الشباب وإغرائهم تمهيداً لإعدادهم للإيمان بآرائهم ومعتقداتهم الملحدة. وفي ذلك يقول الثعالبي: «وقد كان الجاهل الغر من أهل ذلك العصر يتطفل على الزندقة وينتحلها ليعد من الظرفاء»[1].

وقد انتبه الجاحظ إلى خططهم هذه فقال: «وربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له أن الزنادقة ظرفاء وأنهم عقلاء وأدباء، فينزوي نحوهم ويرى أنه متى اتهم بهم فقد قضى له بذلك كله فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ويرفع عنده أن يزعم أنه زنديق»[2].

وقد انتشر التظاهر بالظرف في أيام الخليفة العباسي المهدي، لأنه كان جاداً في ملاحقة ومقاومة الزنادقة، وفي ذلك يقول الثعالبي: «فقد صار مثلاً في زمان كثر ظرفاؤه وهو زمن المهدي»[3].

ومن مشاهير الزنادقة الذين اتخذوا الظرف ستاراً وأسلوباً للخداع (صالح بن عبد القدوس، وأبو العتاهية، وبشار بن برد، وحماد الراوية، وحماد عجرد، ومطيع بن أياس، ويحيى بن زياد،

---

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت،429هـ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر (القاهرة، 1965م)، ص 177.

(2) الثعالبي، ثمار القلوب، ص 138.

(3) الثعالبي، المصدر نفسه، ص 139.

وعلي بن الخليل. . . وممن تقدمهم ابن المقفع، وعبد الكريم ابن أبي العوجاء)[1]. ذلك أنهم كثروا وفشت كتبهم في الناس[2].

وإلى جانب هذه الأساليب الآنفة الذكر، فقد اعتمد الشعوبيون على مبدأ التقية واتخذوه أسلوباً لتحقيق مآربهم الدنيئة، وقد توسعوا في هذا الأسلوب واستغلوه استغلالاً مشيناً، حتى يضللوا المسلمين عن حقيقة معتقداتهم وأفكارهم تسهيلاً لبث آرائهم الخبيثة دون استشارة أحد منهم[3]، وكانوا قد اتخذوا هذا الأسلوب لجذب الفلاسفة من كل المذاهب إلى صفوفهم، وعملوا على أن تكون تعاليمهم متفقة مع تعاليم هؤلاء وأولئك، وبهذا فقد استطاعوا تكوين مجتمعات كبيرة عمادها التقية والتخفي، وقد علق أحد الباحثين المحدثين على كيفية استغلال الشعوبية فكرة التقية في عملياتهم الغالية فيقول: «كذلك استغل الإسماعيلية. . . مذهب التقية فكانوا سنيين مع أهل السنة، شيعيين مع الشيعيين، يهوداً مع اليهود، ومسيحيين مع المسيحيين، ومجوسيين مع المجوس»[4].

وبهذا الأسلوب استطاعت الشعوبية التستر على مبادئها وتمكنت من التحرك بعيداً عن مراقبة السلطة وعن مواجهة أصحاب

---

(1) الكتبي، محمد بن شاكر (ت،764هـ) فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ج1، (القاهرة، 1951م) ص 391.

(2) اليعقوبي، أحمد، (ت،284هـ)، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق ملورد، دار الكتاب الجديد، (بيروت، 1962م)، ص 24.

(3) محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، مكتبة الأقصى (الأردن، 1984م)، ص 54.

(4) حسن إبراهيم حسن، عبيد الله المهدي، ص 313.

الرأي والعقيدة من المسلمين، واستطاعت الاتصال بمجاميع كبيرة أدخلوها إلى صفوفهم عن طريق التقية.

وقد استغل الشعوبيون الجانب الاقتصادي[1] وسيلة لتحقيق مآربهم الدنيئة، فكانت مسألة المساواة في الحقوق والواجبات والعدالة في تنظيم الزكاة والغنائم والضرائب والجزية والخراج مجالاً للنقاش وسبباً لإثارة القلق والاضطراب واختلاق الثغرات بين المسلمين لينفذوا منها ما يريدون[2]، وكانت هناك عوامل أخرى ساعدتهم على ذلك منها حالة الفقر التي كان يعيشها بعض أفراد المجتمع، وتعسف بعض الولاة والموظفين في ذلك الوقت، فاستغلت الشعوبية هذه الحالة وقامت باستقطاب ذوي النفوس الضعيفة لإشباع شهواتهم الجنسية والمالية مما سهل للشعوبية استغلالهم أبشع استغلال[3]، ووجدت فيهم خير وسيلة في محاربة الدولة بحجة نصرة المستضعفين[4].

وقد وجدت الشعوبية في الإرهاب والعنف أسلوباً للعمل السياسي والعقيدي لتحقيق مآربها الذاتية وإثارة الذعر بين الناس لزعزعة الأمن وإزالة هيبة الخلافة وسلطان المسلمين، حتى صار

---

(1) أمل عبد الحسين السعدي، الشعوبية أهدافها ومواقفها الاقتصادية، مطبعة الأمة (بغداد، 1989)، ص 3.

(2) قحطان عبد الرحمن الدوري، الحركات الهدامة في الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1989م)، ص 13.

(3) محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص 442.

(4) ابن الجوزي (ت، 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ج5، (حيدر آباد الدكن، 1357هـ ـ 1359هـ) ص 45.

الإرهاب والغلبة من سمات الغلاة الشعوبيين[1].

ونظم الشعوبيون جمعيات سرية عرفوا بالحشاشين والخناقين والمغالين، ومن المعروف أن بلاد فارس كانت دوماً ساحة لمثل هذه الجمعيات التي خرجت منها وسعت إلى تصدير فكرها الغالي وسلوكها الهدمي وممارستها الإرهابية، لتحقيق أغراض الشعوبية وإخفاء معتقداتها الفاسدة متخذين من القتل غيلة وغدراً أداة إرهابية لتحقيق مآربهم، وعن هذا قال واصل بن عطاء يذكر بشار بن برد: «أما لهذا الأعمى المكنى بأبي معاذ من قتله، أما والله لولا الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه»[2].

وهكذا اتخذ الشعوبيون الغلاة من الاغتيال أسلوباً للقضاء على خصومهم وتفننوا فيه فقتلوا الناس بالخنق أو بالتسميم (البنج) والرجم بالحجارة أو الحبال وفي ذلك يقول النوبختي عن أبي منصور العجلي: «وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه، فإن هذا جهاد خفي»[3] وهكذا عاث الخناقون فساداً وقتلوا الناس ومنهم أعلام المسلمين وقادتهم البارزين وغيرهم كثير[4].

---

(1) قحطان عبد الرحمن الدوري، الحركة الباطنية والوسائل والغايات، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 230 ـ 231 (بغداد، أيلول 1989م) ص 28.

(2) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت،285هـ) الكامل في اللغة والأدب، مطبعة نهضة مصر، ج3، (القاهرة، د.ت) ص 194.

(3) النوبختي، فرق الشيعة، ص 34.

(4) الغزالي، أبو حامد (ت،505هـ) فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن =

وقد قدم الجاحظ صورة واقعية لأعمالهم هذه حيث قال: «إن الخناقين يظاهر بعضهم بعضاً فلا يكونون في البلاد، إلا معاً، ولا يسافرون إلا معاً، فربما استولوا على درب بأسره، ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ويكون خلف دورهم إما صحاري وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك، وفي كل دار كلاب مربوطة ودفوف وطبول، ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب منهم، فإذا خنق أهل دار إنساناً ضرب النساء بالدفوف، وضرب بعضهم الكلاب، فسمع المعلم، فصاح بالصبيان، صيحوا، وأجابه أهل كل دار بالدفوف والصنوج كما يفعل أهل القرى، وهيجوا الكلاب فلو كان المخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد»[1].

وهذا يدل على أن الشعوبية لجأت إلى أنواع بشعة من الإرهاب والعنف لتحقيق أهدافها التخريبية في هدم الإسلام وإثارة الرعب وزعزعة الأمن والاستقرار للوصول إلى أهدافهم.

ومن الأساليب التي اتخذتها الشعوبية لتحقيق مآربها تظاهرها بالتصوف والزهد، وعملت تحت هذا الشعار وأظهروه للابتعاد بالتصوف عن إطاره الإسلامي، وقد اتخذوه غطاءً لأهدافهم

= بدوي، مؤسسة دار الكتب (الكويت، د.ت) ص 14؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت،748هـ) دولة الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1 (القاهرة، 1974م) ص 121.

(1) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج2، (القاهرة، 1947م)، ص 264.

السياسية والدينية لأنهم لم يجدوا في أنفسهم القدرة على القيام بالواجبات الدينية والدنيوية فتشبهوا بالصوفية وألغوا الفواصل بين الإنسان وبين ربه وقالوا بالعشق والهيمان بذات الله تعالى، واستطاعوا التمويه على الناس بلبس المرقعات والصوف، والمغالات في الوضوء والعزلة وترك الزواج وطلب الأولاد واعتزلوا في مساكن اتخذوها للتعبد ودفعوا الناس لزيارتهم والتبرك بهم[1].

وكانت الشعوبية تمثل التصوف غير السليم الذي يناقض المبادئ الإسلامية، وابتعدوا كثيراً عن النصوص والأصول، وقد استغلوا هذه الظاهرة وعملوا من خلالها من أجل الوصول إلى أغراضهم وقد اعتمدوا على عدة وسائل كان أبرزها: استعمال مبدأ الحلول والاتحاد وفي ذلك يقول ابن تيمية على لسانهم: «وقالوا بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق»[2]، وهذه الفكرة هي من أخطر المبادئ التي اعتمدها غلاة الشعوبية لهدم مبدأ الألوهية لأنهم برروا مقولتهم في الاتحاد المطلق في تأويل آيات

---

(1) للمزيد من المعلومات ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت،463هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، ج8، (بيروت، د.ت) ص 112؛ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت،1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة المقدسي، ج2، (القاهرة، 1350هـ)، ص 253؛ مصطفى كمال الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1969م) ص 368.

(2) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة المنار (القاهرة، 1341هـ)، ص 71.

القرآن الكريم، ولم يقف الشعوبيون عند الحلول إنما ذهبوا إلى تشبيه الله على هيئات يظهر بها ويكشف عن ذاته، ومن مظاهر الصوفية الغالية المتمثلة بالشعوبية ادعاء العشق والهيمان في ذات الله، وفي هؤلاء يقول ابن الجوزي: «ومن غلوهم... عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم قابلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم»[1].

ولم يقف غلو المتصوفة عند مبدأ الوحدانية إنما توجهوا إلى بقية المبادئ الإسلامية وعملوا على هدمها وبخاصة الأركان الأساسية للإسلام من صوم وصلاة وزكاة وحج، فهذه كلها تعتمد أساساً على الإيمان بالله فإذا سقط الإيمان وانتفى من الإنسان فإن هذه الأركان تعتبر لاغية لا وجود لها.

وهكذا يتبين أن الشعوبية تظاهرت بالتصوف والزهد واتخذته أسلوباً لتحقيق مآربها الذاتية وهدم مبادئ الدين الإسلامي.

فضلاً عمّا تقدم من وسائل وأساليب سلكتها الشعوبية من أجل تشويه العقيدة والمفاهيم الإسلامية، فقد اتبعت وسائل أخرى من أجل تحقيق أهدافها المعادية للعروبة والإسلام، وهذه الأساليب يمكن عدها من أساليب الشعوبية العنصرية، وقد عمد هؤلاء الشعوبيون العنصريون حينما واجهوا مقاومة من المسلمين إلى اتباع أساليب مختلفة لستر مواقفهم المعادية من أجل تحقيق أهدافهم،

---

(1) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 173.

وكلما وجدوا مقاومة من هذا النوع يلجأون إلى أساليب متنوعة لدعم حركتهم والتستر خلف أساليبهم، فرفعوا شعار المساواة ودعموا شعارهم هذا بآية قرآنية فتمسكوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1] وأسندوا شعارهم هذا أيضاً بأحاديث الرسول ﷺ فتظاهروا بالتمسك بقوله: «**المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**»[2]، وقوله ﷺ في خطبة الوداع: «**كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى**»[3]، وهكذا اتخذ الشعوبيون ومفكروهم من مثل هذه الآيات والأحاديث شعاراً لهم، وسلاحاً حتى قامت حركتهم العنصرية وتعصبوا ضد العرب[4]، وإن أساس حركتهم العصبية التي لا تبقي ديناً إلا أفسدته ولا دنيا إلا أهلكتها[5]، وكانت هذه الحركة متفرقة ومتناثرة تعمل بالخفاء ثم تبلورت في فكرة صريحة واضحة موجهة ضد العرب والإسلام، وقد اتفق المؤرخون على أن هذه الحركة قامت على أساس ظاهر من تعاليم القرآن والسنة واستغلوا هذا الشيء لمزاولة نشاطهم العدائي، واخترعوا لأنفسهم نسباً

---

(1) سورة البقرة، آية 183.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 403.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 129.

(4) الحصري، أبو إسحق (ت،453هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ج2، (القاهرة، 1925م)، ص 282.

(5) الجاحظ، رسالة الجاحظ في بني أمية، القاهرة، 1932م، ص 299.

أوصلوه إلى إسحق بن إبراهيم وهو من سارة الحرة، بينما أرجعوا نسب العرب إلى ذرية إسماعيل عليه السلام من هاجر وهي أمة[1].

وقد وجد الشعوبيون وسيلة أخرى تظاهروا بها واستغلوها لإيقاع الفتن بين القبائل العربية ألا وهي الولاء القبلي والسياسي حماية لهم ووسيلة للتهجم على العرب وحضارتهم، وتغذية الروح القبلية وتوسيعها وصولاً إلى تفريق العرب وتمزيق وحدتهم، وخير من يمثل هذا الولاء المصطنع الشاعر إسماعيل بن يسار، ويعد من أوائل الشعوبيين وكان متلوناً في ولائه، فقد تقرب من الزبيريين ومن ثم إلى الأمويين وهو شاعر مخضرم عاصر العصرين الأموي والعباسي، ويقول عن نفسه بأنه شاعر مضحك وذلك زيادة في التستر، أما ولاؤه السياسي فكان ينتقل به من حزب إلى آخر، مرة يوالي آل الزبير ومرة يوالي بني أمية[2]، وواضح من هذا التلون أن الشعوبيين استغلوه لإيقاع الفتن بين القبائل العربية وتمزيق وحدتهم، فقد استغل أحد الشعوبيين وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى ولاءه لقبيلة تيم قريش للهجوم على القبائل الأخرى فوضع القصص البذيئة من أجل الحط من مكانتها وتأليب القبائل بعضها على البعض الآخر، وكذلك الشاعر بشار بن برد استغل ولاءه لقبيلة عقيل للهجوم على القبائل العدنانية[3].

---

(1) ابن قتيبة، العرب والرد على الشعوبية، ص 275.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص 118.

(3) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت،681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ج1، (القاهرة، 1948م)، ص 245.

كما استغل الشعوبيون الولاء السياسي لضرب العرب بعضهم بالبعض الآخر من أجل إيقاع الفتن والمنافسات بينهم، بغية إضعافهم والقضاء عليهم، فنرى أن أبا سلمة الخلال تظاهر بولائه للعلويين على حساب العباسيين من أجل إثارة الفتنة بين الجانبين لإضعافهما والقضاء عليهما[1].

فضلاً عن ذلك فقد اتبع الشعوبيون أساليب غير مباشرة في تحقيق أغراضهم، فحينما أرادت البرامكة إحياء عبادة النار، أوحوا للرشيد ضرورة إيقاد النار في الكعبة من الأخشاب النادرة وادعوا أن في ذلك تقديساً وإكباراً للكعبة وقد أشار إلى أسلوبهم هذا البغدادي قائلاً: «ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تجمر المساجد كلها. . . وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ من جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً فعلم أنهم أرادوا عبادة النار في الكعبة»[2].

وكان هذا دأب الشعوبيين دائماً، فنرى جعفر البرمكي عمل على إطلاق سراح يحيى بن عبد اللّه العلوي وزوده بالمال والسلاح لتقويته وحمله على الثورة ضد العباسيين[3]، واستغل أيضاً الفضل بن سهل مكانته عند المأمون وتظاهر بالولاء للعلويين وأشار على المأمون أن يعهد بولاية العهد إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 211.
(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 285.
(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص 80.

ليس حباً فيه بل في سبيل إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين لإضعافهما والتغلب عليهما[1].

ولما أدرك الشعوبيون أنهم غير قادرين على ذلك بسبب العلاقة القوية بين العروبة والإسلام، وأن عملهم هذا يجر عليهم تهمة الزندقة عملوا هذه المرة على فصل هذه العلاقة الوثيقة بين العروبة والإسلام، وادعوا أن الإسلام دين البشرية جمعاء وأنه ليس للعرب فضل على غيرهم وقالوا مقولتهم الشهيرة: «قد جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم وأسلمنا كما أسلموا ولم نجد الله فضلهم علينا إذ جمعنا الدين»[2] لكنهم لم ينجحوا أيضاً في عملهم هذا لأن المسلمين كانوا لهم بالمرصاد.

فبحثوا لهم عن وسيلة أخرى بغية تحقيق أهدافهم، فعملوا على إثارة الوعي لدى الفرس عن طرق الترجمة ووضعوا الكتب عن الحضارة الإيرانية القديمة من أجل تأكيد الفرضية الشعوبية القائلة: «إن الحضارات القديمة خاصة الساسانية أساس كل شيء، وإن الحضارة العربية الإسلامية لا تعدو أن تكون أخذاً من تلك الحضارات»[3].

وكان الهدف من وراء حركة الترجمة هذه هو إثارة الثقة لدى

---

(1) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت،331هـ)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين. مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة، 1938م)، ص 313.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج12، ص 139.

(3) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 64.

الفرس وبث روح التحدي في أنفسهم والتعالي على العرب والحط من حضارتهم، وقد وصف هذه الحالة الجاحظ على لسانهم قائلاً: «ومن أحب أن يبلغ من صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب... والمعاني الشريفة فلينظر إلى سير الملوك»[1].

وقد عمدت الشعوبية العنصرية إلى فرض الفرضيات الغريبة، وكان هدفهم هو إصدار الأحكام القاسية على العرب، مثل ادعائها أن الأنبياء والمرسلين من لدن آدم كلهم منهم ما خلا أربعة: هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً، وأن آدم ونوحاً هما العنصران اللذان تفرع منهما البشر منهم أيضاً، وكان قصدهم في هذا أنهم الأصل والعرب هم الفرع[2]، ولم يقفوا عند هذا الحد بل عملوا على إشراك الشعوب الأخرى في معركتهم العنصرية ضد العرب فتفاخروا بجميع الأمم على حساب العرب من أجل توسيع نشاطهم ومعركتهم المعادية ضد العرب وإشغالهم في أكثر من ميدان[3].

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 10.
(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 405.
(3) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص 89.

أهداف الحركة الشعوبية

من خلال استعراضنا لأهم الأساليب والسبل التي اتخذتها الحركة الشعوبية وتسترت خلفها، تحددت أهداف هذه الحركة الهدامة للعروبة والإسلام بمعاداة الأمة العربية، وظهرت أهدافها مع طبيعة ممارستها التي شملت التخريب من داخل المناخ الإسلامي والثورة من خارجه، ومن خلال كل هذا أجمعت المصادر على أن أهداف الحركة الشعوبية تتجلى بثلاث محاور، هي: تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل وتقويض أركانه، وإنهاء كل ما يقوم عليه من خلافة وسلطان للتوصل إلى المحور الثاني وهو إزالة الدولة العربية الإسلامية وتشويه الحضارة العربية، حتى يمكنهم من تحقيق هدفهم الأخير وهو المحور الثالث الذي يدعون إليه وهو إعادة السلطان الفارسي والعمل على ازدهار الحضارة الفارسية. ونظرة سريعة إلى مظاهر الشعوبية الآنفة الذكر يتوضح لنا أن أهداف الشعوبية برزت من ثنايا عقائدهم وأفكارهم الهدمية التي نادوا بها،

ومن خلال سلوكياتهم التي اتسمت بالمعارضة والتحريف للعقيدة والشريعة الإسلامية السمحاء وبالتآمر على العرب.

ويمكن أن نجمل أهداف الحركة الشعوبية بما يأتي:

أولاً ـ تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل:

جاء الإسلام وهو يحمل مبادئه للعالم أجمع، وإن الرسالة الإسلامية مكملة لجميع الرسالات السماوية، حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] وقال جلت قدرته في منزلة الإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] وقد أكد الله سبحانه وتعالى إكمال الدين حينما نزل الوحي في عرفات على الرسول الكريم ﷺ بهذه الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]، وبهذا فالإسلام يختلف عما سبقه بشموليته وواقعيته وتنظيمه لمختلف شؤون الحياة. فالدين الإسلامي يقوم على مبدأ التوحيد والنبوة والمعاد (اليوم الآخر) والعمل بالفرائض وهي: الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، هذه هي أصول وأركان الإسلام التي استهدفتها الشعوبية عن طريق التشويه حيناً والهدم حيناً آخر وأول مبدأ حاربته الشعوبية هو:

1 ـ هدم مبدأ الألوهية (التوحيد): ركزت الشعوبية هجومها

---

(1) سورة آل عمران، من آية 19.

(2) سورة آل عمران، آية 85.

(3) سورة المائدة، آية 3.

على مبدأ التوحيد الذي هو أصل الدين وعمود الإسلام[1]، وأخذت الفرق الغالية تهاجم هذا المبدأ الذي ينطلق من عبارة (لا إله إلا الله) وعدم الشرك به، فإذا تحقق للشعوبية هدم هذا المبدأ تهدمت وتداعت بقية مبادئ الإسلام الأخرى، ومن هذا المنطلق سعى الشعوبيون إلى محاربة التوحيد لهدمه وذلك عن طريق فكرة الحلول والإلحاد والتناسخ فأحلت (الله في أشخاص الأنبياء والأئمة)[2] وجعلت منهم آلهة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ معظم رؤساء الفرق الغالية ادعاء الألوهية بحجة التناسخ وانتقالها لهم، وقد أكد الإسفرائيني ذلك بمقولة «الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الإسلام كان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين»[3]. وقد انطلق الشعوبيون من تأويلهم لقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4] فزعموا في تأويل هذه الآية أنه آدم عليه السلام وهم أولاده[5] واتخذو ذلك أساساً لإخفاء الألوهية لمن تحل فيه روح الله[6]، وهكذا آمنت أكثر الفرق الغالية

---

(1) الخياط، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، (القرن الرابع الهجري)، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق ألبير نادر، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1958م) ص 78.

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 138.

(3) الإسفرائيني، أبو المظفر محمد بن طاهر (ت، 471هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين، تحقيق محمد زاهر الكوثري، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1955م) ص 14.

(4) سورة ص، آية 72.

(5) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 11.

(6) الحميري، أبو سعيد نشوان (ت، 573هـ) الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة (القاهرة، 1948م) ص 166.

بفكرة الحلول وسارت معها في حركتها ونشاطها لمحاربة مبدأ الألوهية المتمثل بالتوحيد.

ولم تكتف الشعوبية بهدم مبدأ الألوهية عن طريق الحلول وإنما ذهبت إلى القول بتناسخ روح الإله، وأشار إلى ذلك البغدادي بقوله: «وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام... فقد قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة»[1]، والتناسخ عند الشعوبية ركن أساسي من أركان مذهبهم، والمراد به هو (رد الروح إلى بدن غير البدن الأول)[2].

كما استغلت الشعوبية فكرة البداء للعمل على هدم مبدأ التوحيد والانتقاص والتشكيك في قدرة وإرادة الله والتدخل في ذاته، فقد سخرت الشعوبية هذه الفكرة لمعارضة مبادئ الإسلام، وبرروا دعوتهم عن طريق اعتمادهم على الآيات القرآنية ومن هنا تكمن خطورة فكرة البداء بغية تحقيق مآرب الشعوبية[3].

فضلاً عن هذا فقد اعتمدت الشعوبية لهدم مبدأ الألوهية على مبدأ التشبيه والتجسيم من أجل الطعن بوحدانية الله، فشبهوا الإله بواحد من الخلق أو تشبيههم الأئمة بالله، وفي سبيل تحقيق هدفهم لهدم مبدأ الألوهية، أخذوا يصورون الله سبحانه وتعالى تصويراً يسهل عليهم الصعود بالإنسان إليه أو النزول به إلى الإنسان،

---

(1) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 254.

(2) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، (ت.428هـ)، رسالة أضحوية في أمر المعاد، تحقيق سليمان دنيا، مطبعة الاعتماد (القاهرة، 1949م) ص 58.

(3) الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق، ص 25.

وجعله على أشكال[1] عدة بحيث يكون قابلاً لأوصافها وأحكامهم الكثيرة[2].

ولضمان استمرار نشاطهم وتحقيق أهدافهم في هدم أركان العقيدة الإسلامية وخاصة مبدأ الألوهية، استخدم الشعوبيون مبدأ التأويل لآيات القرآن الكريم، بشكل يبعد مبادئ العقيدة الإسلامية عن حدودها، مدعين في ذلك أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً[3]، وبهذا استغلت الفرق الشعوبية التأويل لضرب مبدأ الألوهية، لتحقيق أهدافهم.

وسعوا أيضاً لهدم مبدأ الألوهية عن طريق التشكيك، وهذا المبدأ استخدمه الزنادقة من الثنوية الذين يؤمنون بالنور والظلمة، وحبذوا للناس هذا المبدأ وأنكروا مبدأ التوحيد وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً بنفسه لا بصانع[4].

2 ـ هدم مبدأ النبوة: لم يكتف الشعوبيون بهدم مبدأ الألوهية (التوحيد) بل وجهوا أنظارهم إلى مبدأ النبوة الذي هو في عرف

---

(1) الدهلوي، شاه عبد العزيز غلام (ت،1229هـ)، مختصر التحفة الإثني عشرية، نقله من الفارسية إلى العربية غلام محمد، واختصره محمود شكري الآلوسي، وعلق عليه محيي الدين الخطيب، المطبعة السلفية (القاهرة، 1373هـ) ص 15.

(2) حسن حميد عبيد الغرباوي، الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1993م)، ص 176.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 29.

(4) الغزالي (ت،505هـ)، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق سليمان دنيا، مطبعة عيسى الحلبي، (القاهرة، 1961م) ص 173.

المسلمين اجتباء واصطفاء من الله تعالى لمن شاء وأراد[1]، ويقوم هذا المبدأ على الإيمان والاعتراف بجميع الأنبياء والرسل، وأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين فلا نبي بعده ولا رسول، وأن القرآن الكريم هو دستور الإسلام الذي أنزله الله إليه، وأنه لا نقض ولا تحريف ولا زيادة فيه[2].

ولما كانت عقيدة الشعوبية في (الإله) كفراً، فمن البداهة أن تكون عقيدتهم في النبوة والرسالة منافية ومتناقضة تماماً لما ورد في الإسلام بشأن النبوة والأنبياء، وأن تكون النبوة هدفاً في محاولاتهم لهدم العقيدة الإسلامية[3]، لذلك عمل الشعوبيون لهدم هذا المبدأ بشتى الوسائل والأساليب وأخذوا يتطاولون على النبي محمد ﷺ باتفاقهم على القول: «إن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع»[4]، وذلك من أجل وضع الرسول ﷺ في غير مكانه ووضع رسالته في غير حدودها وذلك لتوجيه ضربة هدامة للعقيدة الإسلامية، ومما يؤكد هدف الشعوبية في هدم هذا المبدأ ما جاء على لسان أحد زعماء الفرق الغالية وهو أبو ميمون القداح الذي

(1) الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، مطبعة السعادة (القاهرة، 1972م) ص 143.

(2) القاضي. عبد الجبار المعتزلي (ت،415هـ) شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال الكبرى، (القاهرة، 1965م)، ص 563؛ محمد آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، المطبعة الحيدرية (النجف، د.ت)، ص 87.

(3) صابر طعيمة، العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، المكتبة الثقافية (بيروت، 1986) ص 106.

(4) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 299.

قال: «. . . إني أضيق بدين محمد وليس عندي جيش أحارب أهله به وليس لدي مال ولكني في الحيلة طويل الباع بحيث إذا لقيت عوناً من أحد قلبت دين محمد رأساً على عقب»[1]، فعمد هؤلاء الغلاة إلى تخريب هذا المبدأ عن طريق وضع الأحاديث الكاذبة عن الرسول ﷺ وقال عن عملهم هذا ابن الأثير: «فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم. . . وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه»[2].

وكما هو الحال في محاربة مبدأ الألوهية استخدم الشعوبيون نفس المبادئ في الطعن بمبدأ النبوة، فعن طريق مبدأ الحلول الذي اتفق عليه أكثر غلاة الشعوبية، حاربوا مبدأ النبوة فيه سعياً لإلغاء الرسالة الإسلامية بكل مقوماتها، فإنهم اشتركوا في هذا المبدأ لضرب التوحيد والنبوة[3]، واستغلوا أيضاً مبدأ التناسخ في محاربة مبدأ النبوة، فزعمت أكثر الفرق الشعوبية الغالية عدة مزاعم لهدم هذا المبدأ، قسم منهم زعم أن روح الله عزَّ وجل كانت في آدم ثم تناسخت في أرواح أشخاص حسبما يتفقون، وزعموا أيضاً أن هؤلاء الأشخاص هم أنبياء، وقد ربطوا أيضاً مسألة الإمامة بالنبوة فأصبحت مسألة الإمامة تتناسخ أيضاً لتصير نبوة وتتناقل من شخص

---

(1) أبو المعالي الحسيني، بيان الأديان، ص 41 ـ 42.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 21.

(3) الشاطبي، الاعتصام، ج2، ص 197؛ دونلدسن دوايت، عقيدة الشيعة، تعريب ع.م، مطبعة السعادة (القاهرة، 1946م)، ص 58.

إلى شخص حسب هواهم وما يرتؤوه في هؤلاء الأشخاص فأوجدوا عدداً من الأنبياء[1].

وسعو أيضاً لهدم مبدأ النبوة من خلال عملهم بالتأويل حيث ادعاء بعض الغلاة النبوة معتمدين في ذلك على تأويل آيات القرآن الكريم ليدعموا ادعاءهم بها[2].

واستغلوا أيضاً فكرة البداء لمحاربة مبدأ النبوة وقد وصف النوبختي فكرتهم هذه قائلاً: «فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون والإخبار بما يكون غداً وقالوا لشيعتهم، إنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عزَّ وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عزَّ وجل مثل تلك الأسباب[3] التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا، قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك بكونه»[4]، لذلك نرى أكثر أصحاب الفرق الشعوبية اعتمدوا البداء سبيلاً لتبرير

---

(1) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 6؛ القمي، سعيد بن عبد الله، (ت. 301هـ)، المقالات والفرق، تحقيق محمد جواد مشكور، (طهران، 1963م)، ص 47.

(2) مصطفى كمال الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، دار المعارف، (القاهرة، 1969)، ص 130.

(3) فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1958م)، ص 35.

(4) النوبختي، فرق الشيعة، ص 55.

دعوتهم. ولم تكتف الشعوبية عند هذا الحد، فاستغلوا فكرة التشبيه أيضاً من أجل هدم مبدأ النبوة، وأخذوا يطرحون أفكارهم الغريبة في هذا المبدأ بغية إلغاء النبوة عن طريق التشبيه، وزعموا عدة مزاعم، واختلقوا نظرية الفيض[1]، فقالوا: إن النبوة فيض دائم وباق ومستمر لم تغلق دائرته فرسل الله تتوافر والرسالة لا تنقطع، وهكذا أخذ أصحاب الفرق الشعوبية الغالية ادعاء الألوهية والنبوة، وادعاء النبوة والرسالة معاً[2].

وزعمت الشعوبية أن النبي محمداً ﷺ لم يكن خاتم الأنبياء، وكان قصدهم في هذا القول، أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً ويترك شريعة محمد ﷺ، وذهبت بعض الفرق الشعوبية إلى نكران فكرة النبوة من أساسها ولا حاجة للناس لها ولا إلى رسول، وبرروا قولهم هذا بأن العقل يكفي وحده لمعرفة الخير والشر فلا مدعاة للنبوة[3]، وهذا الرأي يقطع بأن النبوة أصبحت لا مبرر لها ما دام العقل يعرف كل شيء.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فأخذ الشعوبيون يشككون في الأديان كلها من أجل إسقاطها، وزعموا أن معجزات الأنبياء ما هي إلا أعمال خارقة مبنية عل الكذب التي اخترعها المتأخرون.

---

(1) جولد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 214.

(2) عرفان عبد الحميد، الخمينية ونظرية النبوة المستمرة، (بغداد، 1982م)، ص 93.

(3) الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا الطبيب (ت،320هـ)، رسائل فلسفية، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1977م) ص 17.

ويظهر هدف الشعوبيين في مبدأ النبوة وإبطال الشرائع الأخرى من خلال القول الآتي: «إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال مصادر النشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الأرض...»[1]، وغيرها من الآراء التي تبطل فكرة النبوة ومعجزات الأنبياء ليست حصراً على النبي محمد ﷺ وإنما شككوا وأبطلوا باقي الأنبياء والشرائع السماوية الأخرى، واعتبروهم (قوماً أحبوا الزعامة)[2] وأنهم (سحرة محرفون)[3]، وتعرضوا إلى الكتب السماوية وادعوا أن فيها تناقضاً وزرعوا حالة الشك في أكثر الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأنبياء من أجل الفرقة والانقسام وتعدد الآراء بين المسلمين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذوا يضعون الأحاديث المكذوبة وينسبونها للرسول محمد ﷺ، ويعلق ابن الأثير على عملهم هذا فيقول: «فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو خطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة

---

(1) صابر طعيمة، العقائد الباطنية، ص 63؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 280.

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 178.

(3) عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مكتبة النهضة، (القاهرة 1945م)، ص 207.

الزندقة»[1]، ومن الذين وضعوا الأحاديث المكذوبة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله: «لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة»[2].

3 ـ هدم مبدأ اليوم الآخر (المعاد): وهو الركن الثالث من أركان العقيدة الإسلامية، والمقصود به يوم الجزاء والحساب، أي أن لهذه الدنيا نهاية وأن الله يبعث الخلق ثانية للحساب فيثاب الإنسان على إحسانه، ويعاقب على جرائمه، ويتصل مبدأ المعاد اتصالاً مباشراً بمبدأ الفرائض، فكانت الشعوبية تحارب الفرائض من خلال محاربتها مبدأ المعاد، واستغلت الشعوبية فكرة التناسخ لنفي مبدأ المعاد فقالت: «إن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وإن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، إما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات»[3]. وقد ذهبت بعض فرق الشعوبية في تأكيد معاقبة الأرواح عن طريق تناسخ روح الإنسان في الحيوانات فقالوا: «إن عقوبة الأرواح بقدر ما اقترفته من آثام فإذا كان الميت ظالماً فإن روحه حين يموت تحل في جسد سائمة أو فأر أو وحش وإذا كان حميد السيرة فإن روحه تحل في جسد رجل تقي أو ملك»[4]، وهذه الفكرة تؤدي إلى إنكار يوم القيامة وإنكار

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 21.

(2) المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، (ت،436هـ) أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ج1، (بيروت، 1967م)، ص 28.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 22.

(4) أبو المعالي الحسيني، بيان الأديان، ص 29؛ القمي، المقالات والفرق، ص 49.

الثواب والعقاب، والجنة والنار بمفهومها لدى المسلمين، وفي هذا يقول أصحاب الفرق الغالية: «ليس قيامة ولا آخرة إنما هي أرواح تتناسخ في الصور فمن كان محسناً جوزي بأن تنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه الضرر والألم، ومن كان مسيئاً جوزي بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا»[1].

يمكن القول إن فكرة التناسخ من العقائد الشعوبية الغالية ذات الأثر الخطير في هدم أركان العقيدة الإسلامية، فضلاً عن أن القائلين بالتناسخ قد خلفوا وراءهم مناهج الدين وزينوا لأنفسهم الضلالات وأخرجوا أنفسهم من الشهوات وزعموا أن السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف، وأن مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين بحجة من روى أن الله عزَّ وجل خلق آدم على صورته، وأنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور[2].

واستغلت الشعوبية التأويل لضرب مبدأ المعاد، وما يتعلق به من بعث الموتى والجنة والنار، وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعاقبة، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية[3]، ومن أجل إلغاء فكرة المعاد

---

(1) ابن حزم، أبو محمد علي أحمد الظاهري، (ت،456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأدبية، ج1، (القاهرة، 1317هـ، 1320هـ)، ص 90.

(2) المجلسي، محمد باقر الأصفهاني، بحار الأنوار، طبعة حجرية، ج2 (طهران، 1315هـ)، ص 235.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 16؛ القمي، المقالات والفرق، ص 54.

أباحت الشعوبية ارتكاب المحرمات من شرب الخمر والزنا وترك الصلاة وباقي الفرائض الأخرى وكانوا يستندون في تأويلهم هذا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[1].

وهكذا زعمت الشعوبية عدة مزاعم لمحاربة مبدأ المعاد، وإنكار القيامة والبعث والنشور والجنة والنار، وقالوا: إن الموت خروج الروح من الجسد ونقله إلى مكان لا يموت أبداً، وزعموا أن النار عبارة عن التكاليف بالعبادات، وأن الجنة علم الباطن والنار علم الظاهر[2].

وقد حكم علماء الإسلام على هؤلاء الغلاة بالكفر، كون عقيدتهم وأفكارهم تتعارض مع عقيدة الإسلام الأساسية، لأنهم أنكروا الإيمان باليوم الآخر والقيامة والبعث والنشور والجنة والنار بينما عقيدة المسلمين كانت تؤمن بالمعاد والإيمان به.

وهكذا فإن إنكار الشعوبية ومحاولة هدم الإيمان باليوم الآخر يمثل أكثر من جهة وجانب امتداداً تاريخياً لأفكار ومعتقدات مجوسية ومسيحية وهندية، كونها جعلت من اعتقادها بالتناسخ قاعدة أصيلة في بنية فكرها الديني بغية تحريف العقيدة الإسلامية وهدم أركانها.

4 ـ هدم الفرائض الإسلامية (التكاليف الشرعية): استهدفت

---

(1) سورة المائدة، آية 93.

(2) الديلمي، قواعد عقائد آل محمد، ص 17.

الشعوبية الهجوم على مبدأ الفرائض، وهذا المبدأ هو الركن العملي للإسلام، إذ أدركت الشعوبية أهمية هذا المبدأ القائم على أداء الفرائض الإسلامية وبناء الإسلام وترصين قاعدة قوية أساسها أداء الفرائض التي أقرها الإسلام، فعملت الشعوبية على هدم هذا المبدأ وإباحتها للمحرمات المختلفة بغية تحقيق مآربها الهدمية. وهذه الفرائض هي العبادات بمعناها العام التي تقوم على توثيق الصلة بين العبد والمعبود، لذلك نجد الفرق بين الأفكار الشعوبية الهدمية وبين العقيدة الإسلامية.

لذلك ظهرت لدى الشعوبيين نزعات شتى لمحاربة الإسلام وهدم مبدأ الفرائض، منها نزعات الإلحاد والإباحية والتحلل من النواميس الخلقية، ونفذت هذه النزعات إلى المجتمع الإسلامي عن طريق هؤلاء الشعوبيين، واستهدفت الشعوبية العبادات التي كانت قائمة عليها هذه الفرائض والمقصود بها الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، لذلك عملوا على إسقاط الفرائض الدينية والتقليل من شأن (التكاليف الشرعية) فقالوا في ذلك: «إن من عرف المعنى الحقيقي لعبادة من العبادات أو فرض من الفروض سقط عنه انطلاقاً من زعم باطني يقول: من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وقد استغلوا تأويل الآيات القرآنية لتعزيز قولهم هذا مثل ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1] واليقين في نظرهم هو التأويل[2].

---

(1) سورة الحجر، آية 99.

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 280؛ الغزالي، فضائح الباطنية، ص 12.

وهكذا أخذت الشعوبية بمحاربة كل فرض من الفرائض الإسلامية مستندين في ذلك على مبدأ التأويل من هذه العبادات وهي:

الصلاة: فالصلاة هي من أقدم العبادات التي أداها الإنسان القديم وانحنى أمام مظاهر الطبيعة حينما أرهبته وأخافته، فكانت المظاهر الطبيعية قد أدت إلى انحناء الإنسان لها مؤثرة فيه لقوتها[1].

وقد زعموا عدة مزاعم وأولوا ما أولوه في الصلاة بما لا يقبله العقل والمنطق، وتأويلاتهم تدل على أن غرضهم هو الإلحاد وإبطال الشرع الشريف، فزعموا أن الصلاة مفروضة في كل سنة مرة ومن صلاها في السنة مرة فقد أقام الصلاة[2]، وكذلك ادعوا أن الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وأن القبلة هي بيت المقدس[3]، وزعموا أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشي[4]، وأولوا أن الصلوات الخمس في الليل والنهار مثل الدعوات الخمس لأولي العزم من الرسل نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد ﷺ.

---

(1) رشدي عليان وسعدون الساموك، الأديان دراسة تاريخية مقارنة، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1976م) ص 71؛ عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، دار الكتاب الجديد (بغداد، 1974م) ص 82؛ أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها في أربعة آلاف سنة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر وآخرين، مطبعة الحلبي، (القاهرة، د.ت)، ص 197.

(2) الديلمي، قواعد عقائد آل محمد، ص 17.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج11، ص 337.

(4) ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل، ج4، ص 189.

وغيرها من المزاعم والتأويلات التي ذكرها الشعوبيون لإسقاط هذه الفريضة التي تعد من أقدم الفرائض إطلاقاً.

أما فريضة الصوم فهي من العبادات المعروفة في تاريخ البشرية[1]، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2] فالشعوبيون ذكروا تأويلات فاسدة في هذه الفريضة وزعموا أن الصوم يومان في السنة هما المهرجان والنوروز[3]، وغيرها من التأويلات والمزاعم التي تهدف إلى هدم هذه الفريضة التي تقوم على أساس الامتناع عن المحرمات.

وأما الزكاة ففيها تأويلات منها، زعمهم أن الزكاة هي بث العلوم لأهل مذهبهم ودينهم يتزكون بها وذلك لأن الزكاة من التزكية والنماء وهي نوع من الطهارات لقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4] والعلم هو الذي يطهر من جنب الجهل.

وأولوا فريضة الحج فقالوا فيها تأويلات كثيرة حسب هواهم وذلك لهدم هذه الفريضة وإسقاطها عن المسلمين، وزعموا أن الحج في جميع شهور السنة، وكان غرضهم في الإلحاد وإسقاط

---

(1) عبد الله محمود شحاته، أركان الإسلام، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1974م) ص 237.

(2) سورة البقرة، آية 183.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج11، ص 337.

(4) سورة التوبة، من آية 103.

العبادات واضحة من خلال مزاعمهم وتأويلاتهم[1].

ولم تقف الشعوبية عند هذا الحد بل ذهبت إلى إباحة المحرمات إباحة مطلقة، فاستحلوا الزنا ودانوا بترك الصلاة والفرائض وأولوا ذلك بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾[2]، واستحلوا شرب الخمر وأكل الميتة واستحلوا النساء وأجازوا نكاح الأمهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال، وزعموا أيضاً أن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد[3].

وهكذا يتبين أن الشعوبيين كانوا يريدون هدم الإسلام بكل مقوماته وهدم المجتمع الإسلامي عن طريق إسقاط التكاليف الشرعية وإباحة المحرمات المختلفة، ومذهبهم هذا في إسقاط التكاليف لا يوافق إلا مذهب المجوس، وكان غرضهم في هذا محو الأديان، ووضع أساس الإباحة، وكيفما وجدوا في أمة أفسدوا أخلاقها[4].

وهكذا حاولت الشعوبية أن تركز هجومها على مبادئ الإسلام وعملت على تشويهه إلا أنها لم تستطع وإن استطاعت نشر آراء غريبة علقت بالإسلام، إلا أن قوة الإسلام، مكنت من مقاومة تلك الآراء الغريبة.

---

(1) ابن حزم، الفصل بين الملل والنحل، ج4، ص 189.
(2) سورة النساء، من آية 28.
(3) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 279.
(4) جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، ص 4.

5 ـ تحريف القرآن الكريم والطعن فيه: عملت الشعوبية على محاربة وتشويه القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول للتشريع الإسلامي ودستوراً للمسلمين ومعجزة الإسلام، فعملوا على تحريفه عن طريق التغيير بالألفاظ والإضافة والحذف والتأويل الباطل افتراء مقصوداً[1]، وكان عملهم هذا لإخراج القرآن الكريم عن صورته الإلهية المعجزة[2]، وقالوا عنه عدة أقاويل، منها أنه غير منظم ولا مبوب وأنه محتذى ومنقول، وأنه زيف مدخول، وأنه غير بليغ ولا فصيح، وبلغت القحة فيهم أن قالوا: «إن فيه أغلاطاً نحوية، وركاكات بيانية»[3]. وقد ألف الأعجمي الطبرسي كتاباً أسماه: (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)[4].

لقد علم الشعوبيون أن القرآن الكريم هو موحد المسلمين ويجمع صفوفهم وأنه حبل الله المتين الذي يوحد مشاعرهم وأفكارهم، وأن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يستشهدون به ويعتصمون به ويحفظونه عن ظهر قلب[5]، ويستدلون بآياته في أحاديثهم وأقوالهم وأحكامهم، أما أعداء الإسلام الشعوبيون فإنهم

---

(1) محمد البنداري، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، قدم له سعيد حوى، دار عمار للنشر والتوزيع (الأردن، 1988م) ص 82.

(2) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ج3، (بغداد، 1949م) ص 120.

(3) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج1، ص 69.

(4) توجد منه نسخة في مكتبة الدكتور محمد المشهداني.

(5) وليد الأعظمي، العجم والقرآن الكريم، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 213 ـ 214، (بغداد، 1989م) ص 67.

أبعد الناس عن القرآن الكريم وقلما يستشهد علماؤهم بآية منه، ولم يكن أمامهم إلا أن يحرفوا القرآن زيادة ونقصاناً وتأويلاً، وألبسوا الحق بالباطل، متناسين أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يتم نوره وأنه حافظه في لوح مكنون، وأن الله خيب مسعاهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

لذلك زعم الشعوبيون أن القرآن الكريم المتداول بين المسلمين ليس كل القرآن وأن النبي محمداً ﷺ كتم قسماً منه[2]، وراحوا يتطاولون على آيات القرآن الكريم والطعن فيه وإنكار قسم من آياته، وأخذوا يدسون عليه الآيات الغريبة، متوهمين أنهم بهذا الأسلوب الخبيث يستطيعون النيل من القرآن الكريم، واتهموا الصحابة بأنهم حذفوا من القرآن الكريم بعض آياته[3]، واستمروا يحرفون القرآن الكريم ويزعمون أن الصحابة ﷺ هم الذين حرفوه، واتخذوا من القرآن وسيلة لتحقيق أغراضهم، ويخفون عن أنظار أهل الدنيا هذا الأمر[4]. ولم يقف هؤلاء الشعوبيون عند هذا الحد،

---

(1) سورة التوبة، آية 32.

(2) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت،655هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ج8، (بيروت، 1967م) ص 120.

(3) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت،329هـ) أصول الكافي، تحقيق عبد الحسين المظفر، ج1، (النجف، 1957م) ص 412.

(4) محمد جابر عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة، 1954م)، ص 35.

بل بلغ الأمر بهم إلى حد الادعاء بأن هذا القرآن الذي يتلونه اليوم ناقص ومحرف، وأن الاعتماد على هذا القرآن الذي بين أيدي المسلمين اليوم هراء، وأخذوا يؤلفون الكتب في موضوع إثبات التحريف في القرآن وعرضه على الناس، كما ذهب البعض الآخر من الشعوبيين إلى القول بأن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ وليس بكلام الله، وأن تركيب حروفه ومعانيه حصلت بالقبض من النفس الكلية إلى نفس النبي الجزئية وصاغ هذه الكلمات وهي ليست بكلام الله تعالى في حقيقتها، وتأولوا في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[1] وقد أجازوا أيضاً الزيادة والنقصان وأن له باطناً يخالف ظاهره[2].

كما تطاولت الشعوبية على إعجاز القرآن الكريم، فهاجم ابن الراوندي (ت،293هـ) نظرية إعجاز القرآن، وادعى «أن فصاحة أكثم بن صيفي[3] تفوق فصاحة القرآن»[4]، وأن القرآن كلام غير

---

(1) سورة الحاقة، آية 40، سورة التكوير، آية 19.

(2) عبد الحميد العلوجي، الباطنية وتياراتها التخريبية، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1989م)، ص 101؛ الديلمي، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، تصحيح شتروطمان، مطبعة الدولة (استانبول، 1938م) ص 36.

(3) أكثم بن صيفي (ت،9هـ) أحد حكماء العرب من تميم، وأكثرهم ضرباً للأمثال، كان سديد الرأي قوي الحجة، رآه كسرى أنو شروان فقال لولا لم يكن للعرب غيره لكفى، عدّه العرب بين المعمرين، قصد المدينة ليسلم فتوفي في الطريق. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص 344.

(4) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ج2، (بيروت، 1967م)، ص 139.

فصيح وأن فيه تناقضاً وخطأً وكلاماً يستحيل[1]، وأضاف متهجماً على القرآن وتعاليمه: «أتى بما كان منافراً للعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة ورمي الحجارة والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران»[2]، وقد أسرفوا في كل ذلك بشكل شوه العقيدة الإسلامية وأدى إلى الانحراف الفكري، فتأولوا الآيات القرآنية تأويلاً يخرجها عن معانيها الحقيقية[3]. ولغرض استغلال آيات القرآن الكريم في محاربة مبادئ العقيدة الإسلامية وإفراغه من محتواه التشريعي الديني والاجتماعي، فقد استخدم الشعوبيون كتاب الله وجعلوه (للخيرة والفأل) وذلك لإفقاده قيمته كأهم تشريع سماوي وإفراغه من محتواه الإنساني.

وهكذا كان هدف الشعوبية واضحاً في الهجوم على العقيدة الإسلامية وتشويه كل ما هو نابع من المبادئ الإسلامية السمحة، وتناسوا أن الله جلت قدرته قد حفظ كلامه الذي حاولوا الطعن والتزييف فيه حافظه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4].

6 ـ إفساد السنة النبوية وتحريف الأحاديث الشريفة: تعد السنة

---

(1) الخياط المعتزلي، الانتصار، ص 12.

(2) عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد، ص 84.

(3) القاضي المعتزلي، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، ج16، (القاهرة، 1960م)، ص 363.

(4) سورة الحجر، آية 9.

النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد تعرضت إلى محاولات الشعوبيين للتلاعب فيها والدس عليها عن طريق وضع الأحاديث الكاذبة على الرسول محمد ﷺ والسنة، هي مرادفة للحديث النبوي الشريف، وقد اهتم الصحابة والتابعون ومن تلاهم من العلماء بحفظ أحاديث النبي ﷺ لما لها من أثر بالغ في حياة المسلمين، فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]

لذلك بعد أن عجز الشعوبيون في أن يجدوا مجالاً للتلاعب بكتاب الله، عمدوا إلى تخريب ووضع أحاديث كاذبة نسبت إلى الرسول ﷺ[3]، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن به، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم[4]، فوضعوا الأحاديث ولفقوا الأخبار وأشاعوا الجدل والتشكيك بالعقيدة التي بلغت مداها في القرنين الثاني والثالث الهجريين[5]، وذلك لدعم حركتهم التخريبية المعارضة للإسلام والمسلمين، فوضعت الأحاديث على لسان

---

(1) سورة الأحزاب، من آية 21.

(2) سورة الحشر، من آية 7.

(3) أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مطبعة الإرشاد (بغداد، 1972م)، ص 4.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص 21.

(5) محمد مبارك السيد، الدس الشعوبي في السنة، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج1، ص 13؛ محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، مطبعة مصر (القاهرة، 1958م) ص 88.

النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك حديث «**إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالعربية، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية**»[1]، وهذا الحديث لا يحتاج إلى رد أو تعليق لأنه واضح فهو من وضع الشعوبية الفارسية الحاقدة على العرب والمسلمين.

وقد لعبت العصبية للمدن والجنس دوراً في وضع الأحاديث الكثيرة في فضائل البلدان والقبائل، وذم المدن العربية[2].

وكانت الخلافات السياسية سبباً في انغماس الشعوبية في الكذب على رسول الله ﷺ تأييداً لحركتهم التي تسترت بالإسلام، وأخذوا يضعون الأكاذيب على صاحب الرسالة[3]، كما وضعوا الأحاديث في ذم الصحابة وأكثروا من التشويه لمواقفهم والانتقاص منهم، والأحاديث التي وضعتها الشعوبية متنوعة منها في العقائد ومنها في الفقه ومنها في الأخلاق[4].

---

(1) السيوطي، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، المكتبة التجارية الكبرى، ج1، (القاهرة، د.ت) ص 11.

(2) ابن عراق، أبو الحسن بن علي بن محمد الكناني (ت،907هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، مطبعة عاطف، ج1 (القاهرة، د.ت) ص 47؛ ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ج2 (السعودية، 1966م) ص 48.

(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت،751هـ)، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مطابع دار القلم (بيروت، 1970م)، ص 57.

(4) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تصحيح وضبط محمد زهري النجار، دار القومية العربية للطباعة والنشر (القاهرة، 1966م)، ص 8؛ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة دار العروبة، ج1، (القاهرة، 1962م) ص 13.

وهكذا وضعت الشعوبية الأحاديث الكثيرة لإفساد عقيدة المسلمين عن طريق العبث بسنة نبيهم ﷺ، كل ذلك ألقى تبعة كبيرة على علماء المسلمين لمعرفة الحديث الصحيح وتمييزه عن الضعيف والمكذوب حتى لا يحدث تغيير أو تبديل فيه.

ثانياً ـ إحياء الديانات الثنوية وتمجيد الحضارة الفارسية:

لم تقف الشعوبية عند هذا الحد، بل سلكت طريقاً آخر لتشويه الحضارة العربية الإسلامية والحط من قيمتها، ورفع شأن ما كان عند الفرس من مظاهر حضارية من أجل أن تتكامل أهدافها، فعملت في أكثر من مجال واتبعت أكثر من أسلوب من أجل تحقيق أهدافها، فإلى جانب هجومها على الإسلام ومبادئه السمحة، عملت على إحياء الديانات الثنوية والمظاهر الحضارية الإيرانية القديمة، لأن الفرس لم يستوعبوا النصر الذي حققه العرب المسلمون عليهم، ولم يستوعبوا الدروس، ولم يستلهموا حضارة العرب المسلمين التي وصلت إلى أرجاء المعمورة وهي تحمل مبادئ الرسالة الإسلامية، إذ اختار الله سبحانه وتعالى العرب لحملها ونشرها، فكان هذا الاختيار هو اختيار إلهي جاء بأمر الله تعالى لما يحمله العرب من صفات ومؤهلات جعلت منهم قادة لحمل رسالة الإسلام فكانوا بحق كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]. قال تعالى مخاطباً الرسول ﷺ وقومه العرب: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[2].

---

(1) سورة آل عمران، من آية 110.

(2) سورة الزخرف، الآية 44.

من هذا المنطلق أخذت الشعوبية تقول الأقاويل والافتراءات وتطعن في العرب وحضارتهم وتشكك في سلطانهم، وتقول: إنه لم يكن للعرب ملك وليس لديهم علم ولا فلسفة، فعملت على وضع الكتب والرسائل في تمجيد كل ما هو فارسي وأخذت تدفع الأموال من أجل ترجمة الكتب التي تتحدث عن الديانات الثنوية إلى اللغة العربية، وكانت حجتهم في ذلك أن هذه الكتب تنطوي على كمال البلاغة والأدب والعلم والحكمة البليغة[1].

لهذا أولى الشعوبيون اهتماماً كبيراً بالمؤلفات والآثار الفارسية القديمة بوصفها أديان الفرس التي تشكل في نظرهم تراثاً قومياً خلفه لهم آباؤهم فوجب عليهم الاحتفاظ به، وأخذوه موضعاً للتفاخر والمقارنة بتراث العرب المسلمين ودينهم الحنيف[2].

فظهر نشاط الأدباء والكتاب في مجالات مختلفة أمثال عبد اللّه بن المقفع (ت، 143هـ) وسهل بن هارون (ت، 173هـ) وغيرهم، في مجالات مختلفة كانت كلها تنتهي إلى هدف واضح هو التآمر على العرب ومحاولة تأكيد التراث الفارسي القديم والتنكر للتراث العربي[3]، ولم تكتف الشعوبية عند هذا الحد بل عمدت إلى إحياء المراسيم الأعجمية القديمة والاحتفال بأعيادهم القديمة، فأخذت العادات الفارسية، تتغلغل في الناس وكان مظهرها واضحاً

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 21، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 316.

(2) حسن حميد عبيد الغرباوي، الشعوبية، ص 216.

(3) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 50.

صلباً فاتخذوا من يوم النوروز عيداً لهم كالفرس قديماً، وأكثر الأعاجم من استحداث مجالس الغناء واللهو والشراب وهي عادة فارسية كانت سائدة في المجتمع الفارسي، وقد حاول الفضل بن سهل وزير المأمون ـ وهو شعوبي من أصل فارسي ـ الاحتيال على الخليفة حتى يقتنع المأمون بتغيير زي الدولة العباسية من السواد إلى الخضرة، وأن يجعل أعلام وقلنسوات العمال في الأقاليم خضراء، لأنه كان لباس كسرى والمجوس[1].

وقد نشطت حركة الترجمة، وأخذوا ينقلون الكتب من الفارسية إلى العربية، لإظهار الآثار القديمة للفرس، وقد ترجم عبد الله بن المقفع (ت، 143هـ) كتاب (خدابنامه) وهو كتاب في تاريخ الفرس من أول نشأتهم إلى آخر أيامهم، وقد سماه (تاريخ ملوك الفرس) وهذا الكتاب يعنى بالأساطير والمواعظ التي تمجد سيرة ملوك الفرس وأخبارهم، ولخطورته واهتمام الشعوبية به، نجده في صور بعضها مترجم والبعض الآخر مؤلف ومترجم، والقارئ لكتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك) نراه قد اعتمد عليه عند كلامه على الساسانيين وأخذ منه[2].

وقد ترجم أيضاً كتاب (آيين نامة) وهو كتاب عني بالنظم والعادات والعرف والشرائع الفارسية، وهو وصف لنظم الفرس وتقاليدهم وعرفهم.

---

(1) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 396.

(2) ابن النديم، الفهرست، ص 172، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص 185.

وترجم أيضاً (مزدك) الذي تضمن سيرة مزدك الزعيم الديني الفارسي، ومثلاً أخلاقية فارسية لا تتوائم والمفاهيم الإسلامية.

وترجم ابن المقفع كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (التاج) في سيرة أنو شروان، وكتاب في (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) وكتاب (اليتيمة)[1]، وكتباً أخرى كانت تعظم الفرس وتذكر أخبار أسلافهم وسير ملوكهم.

فضلاً عن هذا فقد افتخر الشعوبيون بآثار الفرس العمرانية وأخذ الشعراء يتفاخرون في قصائدهم بالآثار العمرانية ومنها قول أبي نواس يفاخر الفرس ويدعو إلى الإشادة بهم[2]:

ودار ندامى عطلوها وأولجوا	بها أثر منهم جديد ودارس
تدار علينا الراح في عسجدية	حبتها بألوان التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	مها تدريها بالقسي الفوارس[3]

وقال أيضاً مشيداً بآثار الفرس:

ألم تر ما بنى كسرى	وسابور لمن غبرا
منازل بين دجلة وال	فرات تفيأت شجرا[4]

---

(1) مرتضى العسكري، خمسون ومائة صحابي مختلق، القسم الأول، دار التضامن، (بغداد، 1969م)، ص 27.

(2) أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت،195هـ)، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، (بيروت، 1954م)، ص 37.

(3) تدريها: تختالها لتصطادها من غير أن تشعر.

(4) أبو نواس، المصدر السابق، ص 126.

وغيره من الشعوبيين الذين أخذوا يفتخرون بآثار الفرس العمرانية في قصائدهم، وذلك لتمجيد المظاهر الحضارية الفارسية ومسخ الحضارة العربية الإسلامية.

ولم يكتف الشعوبيون بهذا القدر، بل إنهم وضعوا الكثير ونسبوه إليهم ليضفوا عليهم من الأمجاد ما يساعد على إحياء الكيد الشعوبي والتقليل من شأن الحضارة العربية الإسلامية، وأن يؤكدوا على الإرث الثقافي والديني القديم في تكوينهم الثقافي، وأن يوجهوا الناشئة إليه وأن يصرفوا الأذهان عن الثقافة العربية الإسلامية[1].

وافتخرت الشعوبية بالشخصيات الفارسية حتى توجه الأنظار إليها بزعمهم أنها تمثل روح المقاومة والتمرد ضد العروبة والإسلام، وأضافت إلى هذه الشخصيات صفة الألوهية وأدّعت أنها لا تمت وأنهم سيعيدون الملك للفرس[2]، وأخذ الشعوبيون يمجدون بمواقف الفرس ويشيدون بهذه الشخصيات وفي ذلك يقول بشار بن برد[3]:

إنـــا مـــلـــوك لـــم نـــزل   فـــي ســـالـــفـــات الـــحِـــقَـــبِ

---

(1) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص 66.

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 155.

(3) بشار بن برد (ت،167هـ)، ديوان بشار، تحقيق محمد طاهر بن عاشور، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، (القاهرة، 1950م) ص 337؛ جورج غريب، بشار بن برد، دار الثقافة، (بيروت،د،ت) ص 155.

حتى رددنا الملك في أصل النبي العربي

وبشار بن برد معروف عنه أنه كثير التلون في ولائه للعرب كثير التعصب للعجم فمرة تراه يفخر بولائه لقيس، ومرة يتبرأ من ولاء العرب ويستهزئ بهم ويعتد بالفرس أجداده. ولهذا بذلت الشعوبية جهوداً من أجل إعادة السلطان الفارسي واستخدمت كل الطرق والأساليب، ألم تكن هي التي ساهمت وقامت باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ لزعزعة الخلافة العربية الإسلامية وإحداث الفرقة والشقاق بين المسلمين، ألم تشارك في كل الحركات التي استهدفت الخلافة العربية الإسلامية وإثارة الفتن بين المسلمين، حتى إنها عمدت إلى استعمال التنجيم واستغلاله لإصدار الأحكام التي تؤكد زوال الخلافة العربية الإسلامية وعودة الملك إلى الفرس، واستغلال هذا الأسلوب لإصدار الأحكام، وقامت بادعاءات غريبة وذلك لإعطاء الثقة لأنصارهم لمواصلة العمل في هذا الطريق وإضفاء قوة دينية عليه.

ثالثاً ـ محاولة إزالة الدولة العربية الإسلامية وتشويه الحضارة العربية:

أدركت الشعوبية أن أهدافها لن تكتمل إلا بإزالة الخلافة العربية الإسلامية فوجهت هجومها من أجل تحقيق ذلك، وقد مر بنا آنفاً أنها ساهمت في عمليات اغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة، وأنها شاركت في حركات التمرد التي أحدثت الفرقة وإشاعة الفتن بين المسلمين، وكانت ترافق تلك المحاولات عمليات طعن وتشويه في

الحضارة العربية وإشادة بحضارات الأمم الأخرى لا سيما الفارسية منها[1].

فكان إسقاط السلطة العربية هدفها الرئيسي، لأنها أدركت أن أهدافها في هدم الإسلام وتقويض أركانه لا تكتمل إلا بإسقاط السلطة العربية الإسلامية، فكان تحرك الشعوبيين نحو ذلك عن طريق إثارة الفتن والتمرد ضد الخلافة العربية الإسلامية ومساعدة كل حركة تؤدي إلى زعزعة السلطان العربي وإسقاطه، فكانت كل الحركات أداة استخدمتها الشعوبية لتحقيق أغراضها الدنيئة، وبما أن العلاقة بين الإسلام وسلطته العربية علاقة وثيقة، كان الهجوم على أي منها يؤدي إلى الهجوم على المبدأ الآخر، لأن مفهوم العروبة والإسلام في نظر الشعوب الأخرى كانا مترادفين، لهذا السبب وجهت الشعوبية كل أسلحتها ونشاطها وابتكار وسائل تآمرية ملتوية استهدفت العقيدة والقيادة في آن واحد.

فالعرب أصحاب حضارة كانت من نتاج العقل العربي عبر حياته، فكانوا يمتلكون كل مقومات الحضارة وأبدعوا في الشعر والخطابة، ألم تنزل معجزة النبي محمد ﷺ بلغتهم فكان القرآن معجزة الإسلام لما يمتلكه العرب من لغة وفصاحة ولسان قويم، وامتازوا عن غيرهم من الأمم بمعتقداتهم الدينية، والصفات التي يمتلكونها من شجاعة وكرم ومروءة وحرمة جار واحترام للمرأة، وكانت لهم نظم سياسية مستمدة من مبادئ الإسلام، وقد اعتز

---

(1) عبد الله سلوم السامرائي، الشعوبية، ص 145.

العرب بوفائهم وحفظ أنسابهم. لهذا وجهت الشعوبية هجومها على الإسلام والعروبة، لأن العروبة روح الإسلام ومادته، والعلاقة بينهما علاقة وثيقة لا تنفصم، فاتخذت الشعوبية أهم ميزة ظاهرة كان العرب يعتز بها، وهي البلاغة وقوة الخطابة وحضور البديهة، فوجهت هجومها على الشعر العربي الذي هو (ديوان العرب)[1].

فقامت الشعوبية بوضع الشروح الغريبة والبعيدة عن روحية الشعر العربي وشعرائه، كما ذهبوا إلى إفساد الشعر عن طريق وضعهم لأشعار مكذوبة ودسِّها في أشعار العرب، وفي ذلك يقول المرتضى عن طريق حماد الراوية في إفساد شعر العرب: «فكان حماد الراوية مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء والمتقدمين ودسه في أشعارهم حتى إن كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد حماد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته فاختلط الصحيح بالسقيم»[2]، ونبّه ابن النديم إلى عمل خلف الأحمر[3] على إفساد الشعر عن طريق الوضع فقال: «كان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم»[4].

---

(1) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب، (ت،170هـ)، جمهرة أشعار العرب، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1308هـ)، ص 12.

(2) المرتضى، أمالي المرتضى، ج1، ص 132.

(3) خلف الأحمر (ت،180هـ)، خلف بن حيان بن محرز البصري المعروف بالأحمر (أبو محرز) أحد رواة الحديث الغريب واللغة والشعر ونقاده، تتلمذ عليه أبو نواس. من آثاره كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر، وديوان شعر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج11، ص 66.

(4) ابن النديم، الفهرست، ص 80.

كما عابت الشعوبية العنصرية خطب العرب وفصاحتهم وكلامهم، لأن العرب إذا خطبوا أكثروا من الإشارة بأيديهم لإيضاح المعنى وقوة التأثير في السامعين وكانوا يستعملون المِخْصرة[1] ويشيرون بها ويتكئون عليها، وكثيراً ما يلبسون للخطابة زياً خاصاً، فيضعون العمامة وضعاً يدل على تأهبهم للخطابة، فكانت الشعوبية تهزأ من هذا وتحط من قدرهم[2]. وقد رد عليهم الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وأفرد لذلك باباً خاصاً سماه (كتاب العصا) لدحض مزاعمهم وافتراءاتهم على العرب.

وإمعاناً في تشويه حضارة العرب، وجهت الشعوبية هجوماً على شجاعة العرب والانتقاص من فروسيتهم، وذلك لانتصار العرب عليهم في معركة القادسية وكرد فعل لهم لهزيمتهم أمام العرب. فأخذت تنتقد خطط العرب العسكرية بحجة أنهم لا علم لهم ولا قدرة على القتال ولا معرفة لهم بالسلاح وأنواعه، فعابوا آلاتهم الحربية وسخروا منها، وأخذوا يقارنون أسلحتهم بأسلحة العرب، وفات عليهم أن هذه المقارنة أحقر لشأنهم، لأن العرب بأسلحتهم البسيطة هزموا جيوش الفرس وسحقوا آلاتهم الضخمة التي تراجعت وانكسرت أمام قوة العرب وبأس العرب[3].

وأدركت الشعوبية أن للعرب صفات لا يمتلكها غيرهم مثل الكرم، وحبهم إكرام الضيف، فعملت على الطعن بهذه الصفات

---

(1) المخصرة: ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ويتوكأ عليها.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 6.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 11.

وتشويهها من خلال إشادتهم بالبخل والشح، فألفوا الكتب والرسائل للتقليل من أهمية هذه الصفات والانتقاص منها[1].

ومن ناحية أخرى تعرض الشعوبيون للمرأة العربية، لأنهم يعرفون مكانتها في المجتمع العربي الإسلامي، وأنها محل اعتزاز وإكرام وموضع تفاخر وإكبار، فأخذوا يشوهون صورتها ومكانتها والإساءة إلى سمعتها، فعمدوا إلى وضع القصص البذيئة للطعن بها ولفقوا الأخبار للتشهير فيها، في حين أن المرأة في بلاد فارس كانت رقاً تباع وتشترى بأبخس الأثمان، ولا مكانة لها عندهم.

هكذا كانت عملية هدم الحضارة الإسلامية من قبل الشعوبيين، فهي الهدف المرسوم لإرباك العقائد وتشويه المفاهيم الإسلامية والحط من قيمتها، وتعرضوا لكل نواحي الحياة، لكنهم لم يفلحوا بذلك لأن للإسلام حرمة، ومبادئ ذات أسس متينة، وأنهم موضع اختيار إلهي لحمل هذه المبادئ ونشرها في أرجاء المعمورة[2].

---

(1) ابن النديم، الفهرست، ص 180.

(2) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة المعارف، (بغداد، 1949)، ص 12.

الفصل الثالث

موقف العرب المسلمين من الحركة الشعوبية

المبحث الأول: الموقف الرسمي

المبحث الثاني: الموقف الشعبي

أولاً: موقف الكتاب والأدباء

ثانياً: موقف الشعراء

موقف الدولة من الحركة الشعوبية

لم يكن يسيراً على كثير من الطبقات الاجتماعية، الاقتصادية في المناطق التي حررها العرب المسلمون أن تفهم معنى إنسانية الإسلام وروحه ومبادئه المهمة، ذلك أن هذه الروح نفسها كانت تقع في موقع يتناقض كلياً مع مصالح تلك الطبقات ويتقاطع من ثم مع نفوذها السياسي، ولذا فقد كان واضحاً منذ البدء أن تسعى فئات مختلفة تضررت مصالحها إلى العمل من أجل ضرب السياسة العربية بوصفها سبباً يحول دون إعادة النظم التي طالما تمتعت هذه الفئات في ظلها بفرص مطلقة لاستغلال شعوبها، وفي الواقع أن الإسلام لم يكن يفرق بين العرب وغيرهم من بني الإنسان فكان الرسول ﷺ لا يفرق بين المسلمين وهناك أحاديث كثيرة تدل على ذلك[1]، وإذا كان الإسلام قد اعتمد في انتشاره على العرب فليس ذلك بسبب روح عنصرية استعلائية كما حاول بعض المستشرقين

(1) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت،852هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، ج4 (القاهرة، 1328) ص 314.

تصوير الأمر[1]، وإنما لأن من البديهي أن العرب هم الأمة التي نزل عليها القرآن الكريم وكلفت بنشر تعاليمه، فهو اختيار إلهي لا شأن لهم فيه، ولو افترضنا جدلاً أن القرآن قد نزل على أمة غيرهم وكلفوا بنشره فإن تلك الأمة تفعل الشيء ذاته، على أنّ مثل هذا الافتراض لا يقوم إلا على أساس يبرره، ويكمن هذا التبرير في الصفات التي اتصف بها العرب والتي أهلتهم لحمل رسالة السماء إلى العالمين قاطبة إذ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، ومع أن كثيراً من الشعوبيين السابقين واللاحقين والمستشرقين المغرضين حاولوا بكل حين أن يشوهوا كل الصفات ويلصقوا بالعرب كل منقصة إلا أن انتخاب الله سبحانه وتعالى للعرب لنشر دينه الأخير الذي ارتضاه للبشرية ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3]، يأتي وحده برهاناً ساطعاً على انفراد هذه الأمة بالذات بصفات نادرة لم تملكها الأمم الأخرى، والله أدرى أين يضع رسالته ولا يفعل أصلاً أن يضعها وديعة عند غير مستحقيها، بل عند القادرين على توصيلها إلى عباده أجمعين. وعليه فلا تناقض إذاً بين عالمية الإسلام وبين عروبته، فالعرب مادة الإسلام[4]، وعليهم تقع مسؤولية تبليغ الدعوة إلى العالم، وفي هذه النقطة بالذات يتصل

---

(1) فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1938م) ص 34.

(2) سورة الأنعام، من آية 124.

(3) سورة آل عمران، من آية، 19.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص 2741، طبعة ليدن.

الإسلام بالعروبة اتصالاً وثيقاً، فضرب أي طرف من طرفي المعادلة هذه يعني بالضرورة ضرب الطرف الآخر.

وعلى الرغم من أن الشعوبية بوصفها حركة مضادة للعروبة والإسلام لم تظهر جلية في عصر الخلافة الراشدة بسبب أن طابع العصر كله كان طابعاً عسكرياً، بمعنى أن الجيوش العربية كانت مشغولة بتقويض دولة الفرس، وكان الفرس، أو الطبقات المتضررة منهم، ما تزال تحاول حسم معركتها مع العرب بالأسلوب العسكري، ومع ذلك فإن إحساساً مهماً أخذ يفرض تأثيره على صانعي القرار السياسي في هذه المرحلة، يقول بوجوب العناية بالعرب وتأكيد دورهم والحفاظ على كيانهم من الذوبان في كيانات الشعوب المحررة، لا استعلاء منها، وإنما بسبب أن دور العرب كأمة رائدة لم يكن قد انتهى بعد، ومن ثم فمن الضرورة بمكان أن يحافظ العرب على كيانهم لكي يحفظ ذلك الكيان بدوره الرسالة العالمية للإسلام.

ويمكننا أن نستشعر هذا الإحساس من أقوال الخلفاء الراشدين ﷺ في مناسبات عدة، فالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، الذي انهارت على أيدي جنوده دولة فارس، كان يدرك بوضوح معنى أن يفقد العرب شعورهم بتميز كيانهم هذا، ونلمح ذلك بوضوح في أقوال عدة مثل قوله: «لا تدخلوا علينا من العلوج أحداً»[1]، والعلوج هنا، مصطلح كان يراد به العجم، ومع أنه لم

(1) ابن سعد، أبو عبد الله محمد، (ت،230هـ) الطبقات الكبرى، طبعة إدوارد سخاو، ج3، (لندن، 1905م) ص 253.

يكن بعيداً أن يعتنق بعض هؤلاء الإسلام حفاظاً على مصالحهم إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان من الذكاء السياسي إذ أدرك الدوافع الحقيقية التي كانت تدفع أمثال هؤلاء للتظاهر بالإسلام، وبذا فإنه كان حذراً من دخول هؤلاء في قيادة المسلمين، وفي الواقع، فإن حراجة الموقف العسكري واحتدام الأحداث كان يمنع الخلافة من أن تجعل أسرارها العسكرية تتسرب إلى أعدائها عن طريق أمثال هؤلاء.

ومع أن هذه السياسة لم تكن رداً واضحاً على الشعوبية، بسبب عدم تبلور الأخيرة كحركة مستقرة في ذلك الوقت المبكر، فإنه يعبر عن إدراك ذكي بما سوف تؤول إليه الأحداث في مستقبل الأيام. وفي هذا السياق يمكننا أن نضع وصايا الخليفة عمر ﷺ الأخرى في الحفاظ على كرامة العربي[1] معنوياً ومادياً، ذلك أنه كان يعلم أن هذه الكرامة ستكون هدفاً لأية حركة مضادة تقوم به الفئات التي ضرب العرب المسلمون مصالحها. ويمكننا القول بأن تلك الملاحظة كانت تمثل أول موقفٍ رسميٍ للخلافة من الحركات المعادية التي ستعرف فيما بعد بالشعوبية.

وعلى الرغم من إدراك الخليفة عمر ﷺ لطبيعة الموقف السياسي فإنه نفسه كان ضحية التآمر الشعوبي عليه، وقد سجل اغتياله على يد أبي لؤلؤة المجوسي أول حادث اغتيال سياسي في

---

(1) في قوله «لا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تحجروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها». الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص 2741، طبعة ليدن.

الإسلام[1]، ويلاحظ من هذا الحدث أن الذين دبروه كانوا في الكوفة عند ذاك[2].

وعلى الرغم من الإصلاحات الواسعة التي قامت بها الدولة العربية الإسلامية في مجال الضرائب في أقطار المشرق الإسلامي إلا أن اضطرار السلطة إلى الاعتماد أحياناً على «الدهاقين»، وهم الإقطاعيون، في جمع الضرائب أدى إلى أن يستغل أولئك الناس موقعهم في استغلال شعوبهم من جهة وفي إثارة المشاعر المعادية للدولة العربية نفسها من جهة ثانية، وبذا أصبح لزاماً على هذه الدولة أن تبذل جهوداً واسعة من أجل مكافحة الشعوبية في مناطق مختلفة من أقاليم المشرق ولم تكن تلك المهمة ميسرة بأية حال، فإن الشعوبيين كانوا يتخذون في كل حين شكلاً ينسجم مع طبيعة ذلك الحين وأسلوب عمل يتواءم مع طبيعة المرحلة التي يعيشون، ولذا تنوعت إجراءات الدولة وتعددت ردود أفعالها.

ورداً على استغلال الدهاقين وأمثالهم لخبرتهم المالية في ممارسة دور سياسي معاد، عمد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى تعريب الدواوين والعملة في خطوة رائدة أدت إلى إمساك الدولة بمفاصل إدارتها المالية بيد قوية، وعلى الرغم من الجوانب المالية البحتة إلا أن الإجراء نفسه كان يمثل رداً رسمياً على تحركات شعوبية خفية تجري من وراء ظهر الخلافة.

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص 2722 (طبعة ليدن).

(2) نزار وسعيد الحديثي، الشعوبية، ص 24.

ومن الواضح أن السياسة العربية في عهد الأمويين كانت على الرغم من عروبتها الظاهرة، إلا أنها كانت تتسم في الوقت نفسه بقدر معقول من التفهم واللين، ولم يكن هذا الموقف يقوم على أساس من ضعف أو عدم تقدير الخطورة الشعوبية نفسها، وإنما لأن الدولة كانت تدرك ضرورة الاحتكام إلى قواعد الإسلام لترضي بها الشعوب.

بيد أن عدداً من المتنفذين وأرباب الأهواء من أهل المناطق المحررة، أخذوا يستغلون ذلك التفهم واللين باتجاه يدعو إلى التمرد على الدولة نفسها، فهذا نصر بن سيار[1] عامل هشام بن عبد الملك على بلاد خراسان يلاحظ ملامح الخروج على العرب تظهر جلية في ذلك الإقليم[2]، وصحيح أن الغاية المعلنة لأولئك المتمردين كانت الدعوة إلى ضرب سلطان الأمويين، إلا أن الغاية الحقيقية كانت تتجاوز إلى ضرب سلطان العرب كلهم على اختلاف قبائلهم والبيوتات التي تحكمهم.

---

(1) نصر بن سيار (ت، 131هـ) وهو نصر بن رافع بن حَرِّي بن ربيعة الكناني أمير من الدهاة الشجعان، كان شيخ مضر بخراسان ووالي بلخ ثم ولِّي إمرة خراسان سنة 120هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري وأقام بمرو. وقويت الدعوة العباسية في أيامه فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم فلم يأبهوا للخطر فظل يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان فخرج نصر من مرو سنة 130هـ ورحل إلى نيسابور وظل يتنقل منتظراً النجدة إلى أن مرض ومات بساوة، وهو صاحب الأبيات المشهورة:

أرى تحت الرمادِ وميضَ جمرٍ يوشكُ أن يكون له ضرامٌ

ينظر الزركلي، الأعلام، ج8، ص 341.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص 1793، (طبعة ليدن).

ومما ساعد على نشاط الشعوبية في خراسان والمشرق قلة العنصر العربي فيها، فضلاً عن بعدها الجغرافي عن الحواضر العربية[1].

وسرعان ما اكتشف الخلفاء العباسيون الأوائل حقيقة اللعبة الشعوبية، فأسرعوا بالتصدي للحركة التي أخذت تظهر بين القادة والأتباع من أمثال أبي مسلم وغيره، فسجل ذلك أول تصدٍ عربي رسمي للشعوبية.

وكان طبيعياً أن يتولى خلفاء بني العباس الأوائل مقاومة هده المحاولات الخطيرة، فنجح الخليفة أبو جعفر المنصور في القضاء على أبي مسلم الخراساني بعد أن أدرك حجم المؤامرة التي كان يدبرها ضد سيادة العرب في الدولة[2].

وعلى الرغم من ازدياد نفوذ العرب في العصر العباسي الأول فإن شخصية المنصور القوية لم تسمح لهذا النفوذ أن يتطاول أو يتجاوز حده، فبعد أن قضى على أبي مسلم شرع بملاحقة النفوذ الشعوبي في سائر مؤسسات الدولة.

وسجل عهد المهدي بالله يقظة الوعي العربي بمخاطر التحرك الشعوبي وكان هذا الخليفة قد تثقف ثقافة عربية خاصة، فاكتشف منذ عهد مبكر خطورة دعاوى الشعوبية والسبل التي كانوا يتوسلون

---

(1) زاهية قدورة، الشعوبية، ص 68 ـ 69.

(2) اليعقوبي، أحمد، (ت،284هـ)، تاريخ اليعقوبي، طبعة ج3 (النجف، 1358هـ)، ص 90.

بها لضرب الإسلام والسياسة العربية المقترنة به، ولذا كانت إجراءاته تتسم بوعي شديد لتلك المخاطر، وما تأسيسه (لديوان الزنادقة) إلا واحداً من جملة الإجراءات التي اتخذها لتحقيق ذلك الهدف[1]، فهذا الديوان كان مسؤولاً عن تتبع الزنادقة الذين حاولوا ضرب الإسلام بإحياء ديانات فارسية قديمة إدراكاً منهم للترابط العضوي الوثيق بين العروبة والإسلام، وإن ضرب أحدهما سينتهي إلى ضرب الآخر، فالزندقة إذاً شعوبية دينية.

ومن هذا الفهم سعى المهدي إلى طلب الزنادقة حتى قيل «إنه قتل منهم خلقاً كثيراً»[2].

ولم يكن ديوان الزنادقة مجرد مؤسسة أمنية غرضها إرهاب الزنادقة كما قد يبدو، وإنما كان هذا الديوان يتبع وسائل متنوعة لتطويق خطر الزنادقة وردها، ولم يكن العنف السبيل الوحيد بين تلك الوسائل، وإنما كانت المحاورة والمناقشة وسائل أخرى لها أهميتها فضلاً عن أنه كان يمنح للمتزندق فرصة التوبة عن معتقداته، فإن ثبت عليها وعاند كان عقابه. ولم يكن العقاب منحصراً بالضرورة بالإعدام وإنما كانت هذه العقوبة تأتي في آخر سلسلة من العقوبات أولها التعزير وهو تعنيف المجرم دون إيقاع أذى جسدي بالغ.

وفي واقع الأمر، فإن ديوان الزنادقة كان يقوم بدور كبير في

---

(1) السيوطي، (ت،911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الصادق، (القاهرة، 1959) ص 271.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص 133.

حماية الأسس التي يقوم عليها المجتمع العربي الإسلامي، لأن الزنادقة لم يكونوا يسلكون في دعواهم مسلكاً عقلياً فحسب إنما يعمدون إلى نشر أنواع من المباذل والتحلل الخلقي الخطير ويبنون مفاهيم غريبة عن قيم العروبة والإسلام، تدعو إلى التحلل والمجون والشك في الشرائع السماوية.

لقد أدرك المهدي أهمية الفكر والمناقشة في الرد على الشعوبية الدينية فقرب العلماء وطلب منهم (تصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين)[1]، وطلب المهدي من الجدليين وأصحاب الرأي مناقشة الزنادقة وتفنيد أقوالهم (فأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين وأوضحوا الحق للشاكين)[2].

واستمرت الدولة العربية الإسلامية يقظة في عهد الخلفاء التالين، فالخليفة الهادي مثلاً بذل جهوداً حثيثة في طلب الزنادقة حتى قتل منهم جماعة، كان من بينهم يزدان بن باذان الفارسي[3].

ويعد عهد الخليفة هارون الرشيد أكثر العهود حفولاً بمظاهر الصراع بين العرب من جهة والشعوبيين من جهة أخرى، ففي سني خلافته حاول البرامكة، تلك الأسرة الفارسية الحديثة العهد في الإسلام أن تؤدي نفس الدور الذي كان يسعى إليه أبو مسلم الخراساني بوسائل خبيثة متنوعة، فاستحوذت على الثروة حتى

---

(1) المقريزي (ت، 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، ج1، (القاهرة، 1934) ص 15.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص 133.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص 32 (الطبعة الحسينية).

أصبحت مضرب الأمثال في الثراء، ومن جهة أخرى فإنها أسرفت في البذل والعطاء حتى ضرب بها المثل في ذلك، وفي واقع الأمر فإنّ بذلها الأموال لم يكن على سبيل الصدفة أو التشجيع لبعض المتملقين من الشعراء، إنما كانت تهدف من ورائه إلى كسب الأعوان للمشروع الذي بذلت نفسها من أجله والمتمثل بإحياء دولة فارس والقضاء على دولة العرب[1].

وكان من خبث وسائلهم أنهم ستروا أفكارهم ومخططاتهم بغطاء كثيف من مظاهر الولاء للخليفة فكان أن منحهم الرشيد ثقته بغير حدود، فعينهم وزراء في دولته ورضي أن يصيروا مراكز قوة فيها إلا أنه ما فتئ أن انتبه إلى حقيقة مشروعهم ذاك[2]، ولاحظ أن البرامكة مصممون على تقويض أسس الدولة وتخريبها وأن من تلك الوسائل ضرب العلويين بالعباسيين وضرب العرب ببعضهم وحبك المؤامرات داخل البيت الواحد مع التأكيد على مظاهر الحكم الفارسية وإحياء تقاليدهم ومفاهيمهم السياسية والاجتماعية[3]، وأنهم كانوا يسندون بشكل مباشر أو غير مباشر الفئات التي كانت تدعو إلى التحلل الاجتماعي أو التي تسعى إلى التغني بأمجاد الفرس القديمة[4].

---

(1) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 226.

(2) الميلوي، يوسف، (ت،1130هـ)، أحسن المسالك في أخبار الممالك، مخطوطة في مكتب المجمع العلمي العراقي في بغداد برقم 3/ تاريخ، ص 97.

(3) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، مطبعة التفيض الأهلية، (بغداد، 1945م) ص 175.

(4) المصدر، نفسه، ص 176.

وعبر الرشيد عن قمة وعيه بمخاطر هذا المشروع الشعوبي الجديد حينما أصدر أمره بإعدام البرامكة، فتخلص بذلك من شرهم وأعاد للدولة العربية الإسلامية توازنها، وقدم نموذجاً ليقظة السلطة إزاء المؤامرات التي كان يحيكها الأعاجم ضد أسس المجتمع العربي الإسلامي[1].

ولنا وقفة مع شعوبية البرامكة التي تكمن في عدة نواحٍ إذ نادوا بالشعوبية والحط من شأن العرب، وقد برزت شعوبية البرامكة واضحة في المجال الثقافي، حتى غدت الشعوبية في ذروة قوتها بسبب دعم البرامكة لها، فالتف الشعراء حولهم وأغدقوا عليهم الأموال وأخذوا ينشدون الشعر فيهم، فلم يذكر شعرٌ إلا وفيه دورٌ للبرامكة، وهذا يبدو واضحاً من خلال ما استقرأناه من شعر ذلك الوقت، ونقرأ لإبراهيم الموصلي عندما قدم مهنئاً يحيى بن خالد البرمكي لتوليه الخليفة هارون الرشيد مقاليد الوزارة قائلاً:

ألم ترَ أن الشمس كانت مريضة ... فلما ولي هارون أشرق نورها

فألبست الدنيا جمالاً بوجهه ... فهارون واليها ويحيى وزيرها[2]

وعندما تربع البرامكة على دست الوزارة، قربوا الفرس وأوقعوا بين الهادي والرشيد وأوجدوا الفتنة بين أولاد الرشيد، وبرزت تأثيراتهم الشعوبية في مختلف نواحي الحياة، ففي المجال الثقافي

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (الطبعة الحسينية) ج3، ص 457.

(2) أحمد عبد الستار الجواري، الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الكشاف للطباعة والنشر، (بغداد، 1956م) ص 128.

شجعوا الثقافة الأعجمية الفارسية[1]، ووسعوا طبقة الكتاب لأهميتهم في تحقيق أهدافهم وبعث التراث الحضاري الفارسي وشجعوا الترجمة عن الفهلوية، وركزوا على كتب الأدب والتاريخ، وتبنوا عناصر متطرفة في شعوبيتهم[2]، ودفعوهم لإثارة الفتن وزرع الأحقاد في الصف العربي وأغدقوا عليهم الأموال مما جعل عصرهم مرتعاً خصباً للشعوبيين لنشر دعوتهم[3]. أما تأثيرات الجانب السياسي والإداري، فقد كان للبرامكة دور واضح في توجيه سياسة الدولة، الدولة العربية في العصر العباسي إبان تسلطهم وسيطرتهم على الوزارة، وأخذوا يتصرفون بحرية تامة في شؤون الدولة، بسبب تساهل الرشيد معهم، وكان البرامكة يحسبون تصرفهم هذا فضل منهم على الرشيد وهذا يتبين من قول جعفر البرمكي: «ما كفى ـ الرشيد ـ أني تركته لا يهتم بأمر شيء من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته، وقد ملأت بيوت أمواله أموالاً، ولا

---

(1) محمد نبيه حجاب، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مكتبة النهضة، (القاهرة، 1961م) ص 370.

(2) إبراهيم ياس خضير، قراءات في الشعوبية، مجلة آفاق عربية، العدد 31 السنة السابعة (بغداد، 1982م) ص6؛ حكمت صالح العزاوي، مقدمة في تاريخ الشعوبية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 76 ـ 77، السنة السابعة، (بغداد، آب، أيلول، 1974م)، ص 22.

(3) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت،1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، المطبعة الأميرية ببولاق، (القاهرة، د.ت)، ص 459؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت،336هـ)، أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، نشره: ج.هيورث، دار المسيرة، (بيروت، 1979م)، ص 13.

زالت الأمور الجليلة أديرها حتى يجد عينيه إلى ما ادخرته واخترته لولدي وعقبي من بعدي، وداخله حقد بني هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع، والله لئن سألني شيئاً من ذلك ليكونن وبالاً عليه سريعاً»[1].

يبدو من كلام جعفر أنه اتخذ سياسة تظهر غروره وطموحه في التسلط، وأنه ذهب إلى أكثر من ذلك حيث عمل مع أخيه الفضل بن يحيى على إنشاء قوة عسكرية مسلحة خاضعة له حتى يتمكن من الرشيد والقضاء عليه[2].

وقد حصل هذا عندما ولى الرشيد الفضل بن يحيى خراسان، فقام الأخير بتكوين جيش فارسي وأنفق عليه أموال الدولة حتى يكون ولاؤهم لآل برمك وأطلق عليه اسم (جيش العباسية)[3]، وأدرك أهل بغداد والقادة العرب خطورة هذا الجيش، ودب القلق في نفوسهم، فأخذ البرامكة يخلقون الحجج والذرائع بشأن هذا الجيش وأنه لتقوية الإسلام والمسلمين[4].

يظهر لنا من خلال ما تقدم أن البرامكة واجهة من واجهات الشعوبية، وأنّ سلوكهم يكشف عن أهداف الشعوبية التي أصبحت

---

(1) الأتليدي، محمد ذياب، (ت،1100هـ)، إعلام الناس في ما وقع للبرامكة مع بني العباس، (القاهرة، 1367هـ)، ص 132.

(2) عبد الجبار الجومرد، غرة العرب، يزيد بن مزيد الشيباني، دار الطليعة، (بيروت، 1961م)، ص 180؛ هارون الرشيد، دار الكتب، ج2، (بيروت، 1956م)، ص 482.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص 257.

(4) فاروق عمر فوزي، سقوط البرامكة، مجلة آفاق عربية، العدد 31، السنة السابعة، (بغداد، أيلول، 1981م)، ص 41.

في مقدمة الأسباب التي دفعت الرشيد للتخطيط لتصفيتهم والقضاء عليهم، وتكشف عن يقين إسهام البرامكة بنشر الأفكار الشعوبية سواء أكان بشكل مباشر أم غير مباشر، مما جعل نهجهم هذا تحدياً سافراً لعروبة الدولة، فكان لا بد للخليفة الرشيد باعتباره حامياً للدين والدولة من الوقوف بوجه تيار التخريب الفكري هذا وإسقاطه[1].

وقد أدى سقوط البرامكة إلى زيادة الخصومة مع العرب، واشتعلت نار حقد الشعوبية فأخذوا يبحثون عن واجهة أخرى حتى جاءت فتنة الأمين والمأمون، والنزاع السياسي الذي دب بينهما للتفرد في شؤون الحكم تمثل فرصة سانحة للشعوبية لكي تستغلها في تخريب الدولة والتدخل في شؤونها بما يضمن انتقال السلطان منها إلى الفرس[2]، وكان سبيل الشعوبيين هو الالتفاف حول المأمون للعمل على انحيازه إليهم وعلى رأس هؤلاء وزيره الفضل بن سهل[3] الذي عامل نفسه معاملة ملوك الفرس الأقدمين، فأحاط سلطانه بمظاهر الحكم الفارسي البائدة مما لفت الأنظار إليه وقد نجح هذا الجناح الشعوبي القريب من المأمون في دفعه إلى القضاء على حكم أخيه الأمين[4]، ليس انتصاراً للمأمون فحسب

---

(1) عجمي محمود خطاب، مؤسسات الخلافة في عهد هارون الرشيد، 170 ـ 193هـ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب (جامعة بغداد، 1986م)، ص 58.

(2) واجدة مجيد الأطرقجي، إنصاف الخليفة الأمين بين الأدب والتاريخ، مطبعة علاء، (بغداد، 1981م) ص 27.

(3) وهو ربيب البرامكة، كان مجوسياً، أراد جعل الملك كسروياً، فقضى عليه المأمون.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص 372؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 223.

وإنما لضرب وحدة الدولة المركزية التي كانت تتمثل بخلافة الأمين، وضرب السيادة العربية التي تتخذ من بغداد مركزاً لها، وقد كشفت الأعمال العسكرية للجيش الذي بعث به المأمون إلى بغداد عن نزاعات دفينة حاقدة على حاضرة الدولة وعنوان عزها، فكان أن خربت أحياء بأكملها وأحرقت دور وقصور كثيرة ودمرت مؤسسات الدولة على أيدي جنود طاهر بن الحسين قائد الجيش.

وفي الواقع، فإن تدمير بغداد على النحو المهول الذي وصفته المصادر التاريخية لا يمكن أن يفسر على أنه أحداث رافقت تغيير الخليفة، وإنما كان تعبيراً عن حقد شعوبي على عاصمة الدولة العربية الإسلامية بوصفها الرمز الشاخص لسيادة العرب على الأقاليم الأخرى[1].

وبهذا استطاعت الشعوبية أن تزرع روح التفرقة والصراع حتى بين الأخوة لتحقيق مآربها الدنيئة، ويبدو أن الحقد كامن في صدورهم خاصة بعد أن قضى الرشيد على البرامكة، فكانت فتنة الأمين والمأمون تشفياً لما فعله الرشيد بالبرامكة[2].

بيد أن الخليفة المأمون وهو سليل البيت العباسي الهاشمي، سرعان ما اكتشف عمق الهاوية التي كان يجره إليها الشعوبيون الذين تستروا بدعاوى نصرته ضد أخيه، فكان أن أبدى ندمه على ما

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص 868.

(2) محمد حامد إسماعيل، البرامكة والشعوبية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل، 1984م)، ص 211.

حدث للأمين واستعاد الخلافة لبني العباس، وكان أخطر ما في القرار الأخير أنه أعاد بغداد مرة أخرى مركزاً للدولة العربية الإسلامية، وبما أن بغداد سرة العراق وأن العراق عربي بحكم تكوينه القومي فإن قراره كان يعني التأكيد على عروبة الدولة، أو في الأقل على دور العرب في قيادتها.

في عهد الخليفة المعتصم بالله (حكم 218 ـ 227هـ) تعرضت الدولة إلى أخطار شعوبية جديدة تجلت بظهور قائد يدعى (الأفشين حيدر بن كاووس) من أسرة أمراء أشروسنة، الذي أدى دوراً غامضاً في حركة بابك الخرمي ضد الخلافة العباسية.

على الرغم من ارتقائه في المناصب العسكرية إلا أنه ظل بعيداً عن الإسلام في دخيلة أمره، فالرجل كان يحتفظ بكتبه الدينية القديمة ويؤدي بعض الطقوس المجوسية وكان شديد الكره للعرب، ويرى في نفسه بقية ملوك العجم[1].

وتظهر وقائع محاكمته أنه كان يحلم بإعادة مجد الفرس بعد ضرب الأتراك والعرب وهم قوام جيش المعتصم، وكمرحلة أولى فإنه شرع بالإعداد لإنشاء إمارة انفصالية في خراسان، فكان يرشد الأموال والذخائر إلى هناك مستغلاً موقعه في قيادة الحملة التي وجهها المعتصم ضد بابك الخرمي.

ويورد الطبري رسالة من أخ الأفشين تذكر فيها صراحةً أن

---

(1) التنوخي، أبو علي بن الحسن بن القاسم، (ت،1384هـ)، الفرج بعد الشدة، مطبعة المثنى، ج2، (بغداد، 1955م)، ص 68.

الأفشين كان من أنصار ما يسميه بالدين الأبيض (المجوسية)، وأنه لم يختلف في هذا مع بابك الخرمي إلا في أسلوب تحقيق الهدف، وأسوأ ما في الرسالة قوله: «إن العربي بمنزلة الكلب أطرح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدّبوس»[1]، فدل ذلك على مدى الحقد الشعوبي على العرب.

ويشير الطبري إلا أن الأفشين هيأ سماً كثيراً، وعزم على أن يقيم مأدبة يدعو إليها المعتصم وقواده، فيسقيهم ويطعمهم[2]، وبذلك يستطيع قتل الخليفة المعتصم، إلا أن الخليفة كان له بالمرصاد، فاستطاع القبض عليه وحبسه حيث مات في الحبس[3].

ويمكن اعتبار عهد المعتصم بالله (218هـ ـ 227هـ) بداية دخول العنصر التركي في الجيش العربي، هذا التغيير حصل من أجل خلق نوع من التوازن بين العرب والفرس حيث اختل التوازن فيه أثناء الحرب بين الأمين والمأمون، وبعد انتهاء الفتنة بين الأخوين وجد أن العنصر العربي في الجيش أصبح موالياً للعباس بن المأمون أما العنصر الفارسي للجيش فإنهم غير موالين لأي خليفة عربي، وأنهم كانوا يتآمرون على السيادة العربية، ولهذا أراد الخليفة المعتصم بالله أن يدخل عنصراً جديداً إلى جيش الدولة العربية لكي يخلق نوعاً من التوازن في صفوف الجيش العربي، وبعد وفاة الخليفة المعتصم بالله استبد الأتراك في شؤون الدولة

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (الطبعة الحسينية) ج10، ص 367.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (الطبعة الحسينية) ج10، ص 366.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص 367.

العربية وتدخلوا في ترشيح وتعيين الخلفاء والوزراء وكبار موظفي الدولة، مما أدى إلى ضعف السلطة المركزية، وقيام حركات التمرد والعصيان في شتى أنحاء الدولة العربية[1].

وهذا الوضع أدى إلى تدهور الحالة السياسية والإدارية وتأثيرها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي انعكاسه على الشعب.

ومثلما أثار الشعوبيون الفتنة بين الأمين والمأمون لتحقيق أغراضهم الشعوبية، عملوا على إثارة فتنة أخرى بين العباس بن المأمون وعمه المعتصم بالله، هذه الفتنة كان سببها اعتماد الخليفة المعتصم بالله على الجند الأتراك في أكثر الأمور ومعاملتهم السيئة لسكان بغداد، فأدرك الخليفة المعتصم بالله هذا الوضع، ويظهر هذا من خلال شعور الخليفة المعتصم بالله من موقف العرب الرافض لوجود الجند الأتراك فقال: «اطلبوا لي موضعاً أخرج إليه وأبني فيه مدينة وأعسكر به فإنه رابني من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة منه وكنت قادراً على أن آليهم في البر والماء»[2]، وفعلاً بدأ الموقف يتحول إلى ثورة، عندما رأى القائد العربي عجيف بن عنبة أن

---

(1) عبد القادر سلمان المعاضيدي، مقاومة أهل بغداد لتسلط القادة العسكريين الأتراك، من أبحاث الندوة العلمية الأولى التي عقدها قسم التاريخ في جامعة بغداد بعنوان، بغداد في التاريخ، دار الحكمة، (بغداد، 1991م)، ص 139.

(2) ابن الطقطقي، فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا، (ت،709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول العربية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده (القاهرة، د.ت)، ص 231.

الخليفة المعتصم بالله قد خص الجند الأتراك بالنفوذ وأسند إليهم قيادة الجيش اتصل بالعباس بن المأمون للقضاء على الخليفة والتخلص من الجند الأتراك، فعلم الخليفة بذلك فبعث إليهم وقيدهم بالحديد وماتوا من جراء التعذيب[1].

وعلى الرغم من تقديم المعتصم للجند الأتراك، والاعتماد عليهم في مهامه العسكرية، إلا أن الشعوبية فعلت فعلها في جر كثير من القادة الترك للاصطفاف ضد الخلافة العباسية، وهكذا عاش الخلفاء العباسيون بدءاً من المتوكل على الله، وحتى المعتمد مؤامرات الترك المستمرة، وأخطر تلك المؤامرات وأفدحها المؤامرة التي كان ضحيتها الخليفة المتوكل نفسه، ومع أن الشعوبيين حاولوا جر المنتصر بن المتوكل لكي يكون غطاء شرعياً يتسترون ورائه إلا أنهم سرعان ما كشفوا عن عدائهم للمنتصر نفسه، فكان أن دبروا له مؤامرة أنهت حياته بعد أقل من ستة أشهر[2].

ولم تهدأ الشعوبية عند ذلك بل استمرت في عدائها للخلافة حتى اضطر الخليفة المستعين تحت ضغطها إلى خلع نفسه ثم نفي بعد ذلك إلى واسط، ولكن ذلك لم يشف غليل الشعوبية التي أصرت على إنهاء حياته وبالفعل تم لها ما أرادت، وبذلك أصبح خلع الخلفاء وقتلهم عادة مألوفة للعناصر الشعوبية. ويذكر ابن

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص71؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 489.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص 251.

طباطبا عن هؤلاء «إن الخليفة في يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا خلعوه وإن شاؤوا قتلوه»[1].

واستبد الترك، بوصفهم ممثلين للشعوبية الجديدة عند ذاك في شؤون الحكم، وصاروا يشاركون الخليفة في إدارة الأقاليم بل وينصبون الوزراء ويعزلونهم حتى إنهم اعتدوا على الخليفة بالضرب وأوثقوه تحت الشمس المحرقة، وأجبروه على خلع نفسه، ثم أدخل سرداباً وجصص عليه ومات بعد ثلاثة أيام[2].

حاول الخليفة المهتدي بالله أن يتصدى لمقاومة هذا التجاوز الشعوبي على حرمة الخلافة، وحينما رفض خلع نفسه لم يكن منهم إلا أن أمروا بخلع أصابع يده وقدميه وشرب أحد من دمه[3].

وأدرك المقتدر بالله خطورة خصومه فما كان منه إلا أن جاراهم إلى الحدود الممكنة خشية مما هو أسوأ عليه وعلى الدولة إذا ما استمر بتحديهم، ولكنه لم يلبث أن أراد ممارسة سلطاته كاملة وأن يؤكد استقرار قراره السياسي لأنه سئم من تدخل الشعوبية السافر في شؤون الدولة وصلاحيات الخلافة، ولذا فإنه دخل في صراع سافر مع الأمير (مؤنس) كبير القادة الترك، وكان من نتيجة ذلك الصراع أن قتل الخليفة من قبل العناصر الشعوبية وبقيت جثته مطروحة في ساحة المعركة[4].

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري، ص 243.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص 388.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص 458.

(4) عريب، ابن سعيد القرطبي، (ت،366هـ)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق =

ولم يختلف مصير القاهر بالله، الذي تولى الخلافة بعد المقتدر عن مصير سلفه، إذ هجم الشعوبيون على دار الخلافة وقبضوا على الخليفة وسملوا عينيه[1].

وكان من نتيجة تدخل الجند الأتراك في شؤون الدولة، أن سمح ذلك على قيام حركات انفصالية وحركات تمرد في شتى أنحاء الدولة العربية، مما أدى إلى تقلص مساحة الدولة العربية، وبالتالي إهمال القادة الدفاع عن حدودها، فزادت اعتداءات البيزنطيين على ممتلكات الدولة العربية، وانعكس هذا الوضع على تردي الأوضاع الأخرى فدبّ الفساد وفقد الأمن والاستقرار.

لهذا تصدى أبناء العراق وقاوموا استبداد الترك. فكان الخلفاء العباسيون يحاولون التخلص من هذا العنصر الغريب بشتى الوسائل وإبعادهم من عاصمة الخلافة وإشغال هؤلاء بالمعارك في القضاء على حركات التمرد والدفاع عن حدود الدولة العربية، من أجل إضعافهم ومن ثم التخلص منهم.

أما الموقف الشعبي فكان يرفض وجود الأتراك في بغداد، فوقفوا إلى جانب الخلفاء للتخلص منهم، وقدموا أعداداً كبيرة من الشهداء في مقاومتهم للأتراك، وخاضوا معارك ضارية في سبيل التخلص من التسلط الأجنبي واحترام هيبة الخلافة وإعادة شرعية السلطة العربية.

= محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، 1977م)، ص 179؛ مسكويه، أحمد بن محمد (ت، 421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مطبعة التمدن الصناعية، ج1، (القاهرة، 1914م)، ص 237.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 37.

ويروي لنا الطبري حالة غضب أهل بغداد من موقف الجند الأتراك، أن رجلاً من عامة الناس في بغداد وقد خاطب الخليفة المعتصم بالله قائلاً: «لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا، والمعتصم يسمع ذلك كله»[1].

وقد أدرك الخليفة المعتصم باللّه خطورة هذا الموقف وأنه قد يتحول إلى ما لا تحمد عقباه من جراء الوضع الذي وصلت إليه حال الخلافة وتصرفات الجند الأتراك، وكانت هذه الأمور قد أدت إلى انتقال العاصمة من بغداد إلى سامراء التي أسكن فيها المعتصم بالله جنده الأتراك[2].

وبلغ حقد الشعوبية ومجاوزاتها على قدسية الخلافة، غايتها في عهد التسلط البويهي الفارسي، وكانت حداثة البويهيين بالإسلام سبباً في إظهار نوازعهم الحقيقية في القضاء على هيبة الخلافة، وهي دوافع مجوسية محضة، استهدفت العرب أمة، والإسلام عقيدة[3].

وكانت أولى تجاوزاتهم الشعوبية هذه، أنهم أقدموا على خلع الخليفة المستكفي بالله بأسلوب وحشي تقشعر له الأبدان، بل بلغ بعضد الدولة البويهي أن أسقط اسم الخليفة الطائع لله من الخطبة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص 18.

(2) اليعقوبي، البلدان، مطبعة بريل، (ليدن، 1891م)، ص 24.

(3) صالح أحمد العلي، التسلط الأجنبي، بحث نشر في العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1983م) ص 439.

على منابر جوامع بغداد سنة 364هـ[1]. كما حذف البويهيون، ألقاب الخليفة العباسي من على السكة. وأخطر تلك التجاوزات ما فعله عضد الدولة، حين حمّل الخليفة الطائع على إعطائه اللواء المذهب الخاص بولاية العهد، فكان هذا الأمر الأخير دليلاً على سعي البويهيين لإلغاء سيادة العرب ممثلين بالخليفة العباسي ونقل السلطة إلى الفرس[2].

ولنا أن نتساءل عن سبب إيغال الشعوبيين في تحديهم لمركز الخلافة، وسعيهم الحثيث للحط من قدرها على النحو الذي يصفه المؤرخون بمؤسسات الدولة كلها دونما رقيب أو معارضة، والذي نراه أن هذا الموقف لم يكن إلا إدراكاً من هؤلاء لما كان يمثله الخلفاء العرب من دور كبير في ترجيح كفة الصراع الشعوبي العربي إلى جانب العرب، وإذا كان المؤرخون لا يذكرون، غالباً، إلا أخبار تنكيل الشعوبيين بالخلفاء فإن قرائن كثيرة تدل على أن الأخيرين كانوا يستغلون كل ظرف في محاولتهم لإنعاش الخلافة ومن ثمة التأكيد على مركز العرب القيادي في الدولة، لأنهم لو لم يكونوا يفعلون ذلك لما بقي لأعمال الشعوبيين الحاقدة أي مبرر مفهوم، فالفعل الشعوبي كان حقيقته رداً على فعل عربي مقابل، وهكذا نفهم سر ذلك العداء المستحكم الذي تعرض له خلفاء العصر العباسي من أقطاب الشعوبيين على اختلاف أسمائهم والمجموعات العدائية التي ينتمون إليها.

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص 86.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص 499.

يتضح من خلافة الناصر لدين الله (570 ـ 622هـ) أن الخلافة ظلت متمسكة رغم كل ما لقيته من عنت الشعوبية ومؤامراتها بسيادتها، فهذا الخليفة القوي تمكن من طرد آخر سلاطين الدولة السلجوقية في العراق، وبذا أعاد للعرب مركزهم في الدولة من جديد فيما عرف باسم صحوة الخلافة، وتكشف ظروف الصراع بينهم وبين سلاطين السلاجقة وهم الذين ورثوا البويهيين في تسلطهم على العراق عن المقاومة العنيفة للخليفة للنفوذ الشعوبي وسعيه الجاد من أجل تأكيد الهوية العربية، وليس أدل من تلقيبه ابنه ولي عهد الدولة بلقب ملك العرب على اتجاهاته العربية.

ويأتي إصراره على هدم دار السلطنة السلجوقية في بغداد وإزالتها من الوجود نهائياً تدليلاً على رغبته الصادقة في إزالة آخر نفوذ شعوبي في العراق.

ويمكن أن نفسر أعمالاً مهمة قام بها الخلفاء المتأخرون على هذا النحو نفسه، فإنشاء الخليفة المستنصر بالله المدرسة المستنصرية سنة 631هـ[1] كان في حقيقته يمثل خطوة مهمة في

---

(1) أنشئت المدرسة المستنصرية في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة نهر دجلة مما يلي دار الخلافة، بدىء بناؤها سنة 625هـ وتكامل سنة 630هـ وتم افتتاحها سنة 631هـ، وتعد المدرسة المستنصرية أول جامعة إسلامية كبرى في بغداد أواخر الدولة العباسية، وقد وصفها المؤرخون وأكثروا عنها الكلام لحسن بنائها ولآدابها وعلومها التي تدرس فيها، للمزيد من المعلومات ينظر الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو، (ت،717هـ)، خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ص 286؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت،732هـ)، المختصر في أخبار البشر، =

إحياء الثقافة العربية الإسلامية[1]، ففي هذه المدرسة جمعت لأول مرة دراسة آداب اللغة العربية إلى جانب علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه، فأكد هذا الفعل الرائد إدراك الخليفة لأهمية التأكيد على عروبة الثقافة العربية الإسلامية[2]، إذ ازداد انتشار المدارس في العصر العباسي لاسيما في العراق موطن الحضارة وموئلها، وقد أشارت أكثر كتب التاريخ والتراجم والطبقات إلى ظهور عدد كبير من المدارس، فكان في بغداد وحدها ما يقارب ثلاثين مدرسة كانت موجودة قبل إنشاء المدرسة المستنصرية[3]، وقد أجمعت أكثر المصادر التاريخية أن أقدم مدرسة كانت قبل المستنصرية هي المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك سنة 462هـ. التي كان لها نظام خاص بآدابها ورسومها وتقاليدها[4].

= المطبعة الحسينية، ج3، (القاهرة، د.ت)، ص 171؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت، 774هـ)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ج13، (القاهرة، 1348 ـ 1358هـ)، ص 139.

(1) كامل محمد حيدر، المدارس العباسية في العراق تخطيطها وعمارتها، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة بغداد، 1986م)، ص 94.

(2) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة الشعب، ج1، (القاهرة، 1975م) ص 1.

(3) عماد عبد السلام رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي، دار البصري، (بغداد، 1966م)، ص 32؛ نبيلة عبد المنعم داود، التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية، من أبحاث الندوة العلمية الأولى التي عقدها قسم التاريخ لكلية التربية في جامعة بغداد، بعنوان بغداد في التاريخ، دار الحكمة، (بغداد، 1991م)، ص 53.

(4) أحمد شلبي، مدارس قبل النظامية، دار الطباعة المدنية، (القاهرة، 1972م)، ص 30.

وهكذا أسهمت بغداد إسهاماً عظيماً في بناء الحضارة الإنسانية، من خلال تحول المدارس والعلماء المسلمين ومن ظهور حركة الترجمة التي كان لها الأثر في اطلاع طلاب العلم على نتاج الأمم المختلفة، وقد تميزت هذه المدارس بتقاليدها التي أصبحت مثالاً أخذت بها الجامعات العالمية، وكانت هذه المدارس تستحق أن يطلق عليها مصطلح التقاليد الجامعية[1].

وتُعبِّر حركة التأليف التي شجعها الخلفاء العباسيون المتأخرون، بدءاً بالناصر لدين الله عن شعور عام بضرورة إنهاض الفكر الإسلامي الحق في وجه الدعاوى الشعوبية التي كانت تسعى للتشكيك بعقائد الأمة ومفاهيمها العامة، فالناصر نفسه كان مؤلفاً والمستنصر كان مثقفاً راعياً للثقافة العربية، والمستعصم كان أديباً ورعاً، وكلهم عمدوا إلى إنشاء المدارس والربط والمعاهد المختلفة من أجل ترصين الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، وتشجيع الطلبة على تلقي العلم من مناهله الصحيحة بعيداً عن التأثيرات الشعوبية المختلفة.

وكان أخطر ما واجهه الخلفاء في العقود الأخيرة من عمر الدولة تلك الدعاية الضارة التي روج لها الشعوبيون القائلة بعدم جدوى مقاومة أعداء الدولة عهد ذاك، وهم المغول الوثنيون، بحجة أن تلك المقاومة تمثل نوعاً من الاعتراض على حكم الله،

---

(1) حسين أمين، التقاليد الجامعية في المدارس البغدادية في العصر العباسي، أبحاث ندوة بغداد في التاريخ، ن ص 199.

فالمغول هم غضب الله ولا يجوز الاعتراض عليه، وكانت خطورة هذه الدعاية تكمن في إشاعة روح استسلامية انهزامية في مواجهة الأعداء المتربصين، وتأتي رسائل الخواجة نصير الدين الطوسي التي كتبها بلسان هؤلاء إلى أمراء المسلمين في هذا المعنى تماماً.

لم تؤدِ تلك الدعايات دورها في ثني الخلفاء عن مقاومة أعداء الأمة، ولذا وجدنا الخلافة تناضل، في العقود الثلاثة الأخيرة من عمرها، ضد هجمات المغول على حدود العراق، وكان الخلفاء يعمدون في هذا المجال إلى إعلان التعبئة العامة، معتمدين على نحو رئيس، على بناء القبائل العربية لكي تكون الرديف الطبيعي لقوات الخلافة الرسمية.

أدرك المغول خطورة الدور الذي يؤديه الخلفاء فكان أن أمر بتشجيع من مستشاره الشعوبي نصير الدين الطوسي بقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس وآخر رموز الخلفاء العباسيين بالعراق.

وهكذا نرى أن الشعوبية قد ركزت نشاطها على العراق كونه مقراً للخلافة وهو مركز إشعاع حضاري وفكري، ولارتباطه مع بلاد العرب بشرياً وحضارياً وتاريخياً فهو قلعة التاريخ ومنارة العلم والعلماء التي أظهر اهتمامه بالعربية والإسلام وعمل على تعزيزهما.

الموقف الشعبي

أولاً ـ موقف الكتَّاب والأدباء:

إذا كانت الشعوبية بوصفها حركة، لها هدف محدد، هو ضرب العروبة والإسلام فليس من الضروري أن تكون بواعثها واحدة، وذلك أن فئات وشرائح مختلفة ضربت مصالحها بانتشار الإسلام، كانت تسعى كل حسب دوافعه الخاصة إلى الهدف ذاته، وبذا فإن الشعوبية لم تقتصر على فئة محددة أو جماعة دون غيرها وإنما انضوت تحت شعارها حركات متنوعة لها دوافعها المعقدة غير المتشابهة في أحيان كثيرة، وسنبحث في هذا الفصل عن الشعوبية والرد العربي عليها في جناحي الوطن العربي، ونعني بهما المشرق والأندلس، بوصفهما نموذجين على ما كان محتدماً من صراعات بين الكتاب الشعوبيين الذين جمع بينهم كره العروبة والرغبة في النيل منها وبين الكتاب العرب الذين لم يألوا جهداً في الرد على أولئك الخصوم.

في المشرق لم يكن العداء الفارسي للعرب، مما اصطلح عليه

ـ أو على جانب منه ـ بالشعوبية، هو العداء الوحيد الذي واجهته الأمة العربية في تاريخها الممتد عدة آلاف من السنين ولكنه يتميز عنها بأنه يعبر عن سلوك معقد أو غير سوي، وهنا تكمن خطورته، لأن من شأنه أن يستمر طالما ظلت العقدة التي وراءه كامنة في أعماق الشخصية القومية. فالعرب لم يكونوا قط عدوانيين تجاه الفرس أو غيرهم من سكان الهضبة الإيرانية، لتتحفز فئات من هذه الشعوب ضدهم في كل حين، لم يدخلوا هذه الهضبة إلا لنشر دين المساواة والذي اعتنقه الأعاجم فيما بعد، وفي الحقيقة أن الفرس أخذوا عن حضارات الوطن العربي، قبل الإسلام وبعد ظهوره، مقومات وجودهم نفسه، فما أصاب الزرادشتية من تغيرات كان مصدره ثقافات متنوعة، وما اتخذه الفرس من حروف لكتابة لغتهم لم يكن إلا المسمارية العراقية، فالآرامية، والعربية، بل امتد تأثير الحضارات العربية إلى معظم مناحي الحياة الاجتماعية الفارسية، وتركت آثارها واضحة في مجالات الفنون والعمارة، فضلاً عن الإدارة والقوانين[1].

ولطالما نظر الفرس إلى حضارات الوطن العربي بعين واحدة، هاجموا الأدب العربي بما تعلموه منه، ونخروا الدين الذي اعتنقوه من داخله وحاربوا اللغة العربية، وأكثر من نصف مفرداتهم منها[2].

وكان أول ما استرعى في هذا المجال ملاحظة الكتاب العرب،

---

(1) عماد عبد السلام رؤوف، الشعوبية محاولة لفهم جديد، ص 48.

(2) المصدر نفسه، ص 42.

ما كان يحدثه اختلاط الأعاجم بالعرب في تلك اللغة، لذا فإنهم أدركوا منذ عهد مبكر جداً أن معركتهم المقبلة ستكون من أجل صيانة اللغة العربية نفسها من ذلك الدخيل الذي يهدد بغزوها، ومع أننا لا نقطع بأن تسلل الكلمات الدخيلة إلى العربية كان فعلاً مقصوداً في كل حين إلا أنه من الطبيعي أن يهتم الأعاجم بالحفاظ على سلامة اللغة اهتمام العرب أنفسهم، وإذا أضفنا إلى روائع هؤلاء إدراكهم بأن العربية لم تكن مجرد لغة كلام أو كتابة، وإنما مخالفة القرآن الكريم نفسه فضرب العربية أو إشاعة اللحن فيها على الأقل كان يأتي متوافقاً مع ميول فئات تستهدف الإسلام وتتخذ من العجمة وسيلة لتحقيق هدفها ذاك.

فالزهري[1]، مثلاً وهو من اللغويين العرب الكبار عدَّ تعلم النحو العربي من شروط المروءة، والمروءة بلغتنا المعاصرة تعني الإنسانية، فمعنى كلامه أن من شروط إنسانية الإنسان أن يكون عارفاً باللغة العربية، يقول: «ما أحدث الإنسان من مروءة أحب إليَّ من تعلم النحو»[2].

---

(1) هو محمد بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم الزهري، الأندلسي (ت،617هـ) أديب ونحوي ولغوي ولد بمالقة، وسمع الحديث ببغداد، قتله التتار، من تصانيفه: شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو، شرح المقامات، البيان والتبيين في أنساب المحدثين، البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن، أقسام البلاغة وأحكام الفصاحة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج17، ص 277؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص 18.

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت،626هـ)، معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ تصحيح واعتناء مرجليوت، ج1، (القاهرة، 1923 ـ 1931م)، ص 78.

وذهب فريق من علماء العربية إلى تعزيز حقيقة مهمة وهي أن الخطأ في العربية يعد ذنباً يجب الاستغفار منه، وهم لم يفعلوا ذلك تعصباً للغتهم القومية فحسب، وإنما غيرة على لغة القرآن الكريم، فالخطأ في لفظ من ألفاظه يعني بالضرورة حدوث تحريف في الفهم قد يؤدي إلى ضياع المعنى الذي أراده الله تعالى لسعادة البشر. (فكان الحسن بن أبي الحسن حين يعثر لسانه بشيء من اللحن يقول أستغفر الله، وقد سئل عن سبب استغفاره فأجاب: إن من أخطأ فيها فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا[1]﴾[2].

سعى الشعوبيون إلى تشويه صورة كل ما هو عربي، بل بلغ الأمر بهم إلى إنكارهم على العرب عادة قديمة من عاداتهم، وهي التوكؤ على العصا حين يخطبون، فإذا بهذه العادة غير الضارة بشيء تصبح هدفاً للشعوبيين يعملون على اتخاذه رمزاً للسخرية من العرب وذمهم، وقد انتبه الجاحظ الذي طالما عرف بوعيه القومي، إلى خطورة مثل هذه الدعاوى، وبالتأكيد فإن العصا، إن اتخذت متكأً أو لم تتخذ ما كانت لتشكل خطراً على أحد، ولكن الجاحظ أدرك أن الشعوبية حينما لا تجد شيئاً تهاجمه تجعل من مثل هذه الأمور الهينة هدفاً لسهامها، بمعنى أن ما يهمها ليس العصا نفسها وإنما الاقتصاص من الأمة العربية كلها، بذا فإنه رد تلك الدعاوى رداً

---

(1) سورة النساء، آية 110.

(2) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص 68.

بليغاً في كتابه (البيان والتبيين)[1] فقال مبرراً اتخاذ العربي للعصا: «إنه مأخوذ من أصل كريم ومن معدن شريف» ملاحظاً أن عدداً من الأنبياء كانوا يتخذون العصا بخطبهم ومواعظهم منهم سليمان بن داود ﷺ وموسى بن عمران الذي عدت عصاه علامة وبرهاناً على صدق دعوته في مواجهة الكفر.

ومن العجيب أن بعض الشعوبيون وهم يعيبون على العرب لغتهم كانوا يشيدون ببلاغة الفرس الذين لم يعرفوا بها قط، وأدرك الجاحظ تهافت هذه الدعوى أيضاً وردها رداً علمياً متوصلاً إلى أنه ثمة فرق كبير بين رص الكلام رصاً وبين انطلاقه فصيحاً مؤثراً على ألسنة الناس دونما إعداد مسبق أو افتعال يقول: «إن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة»[2]، بينما كلام العرب «بديهة وإلهام. . . وكان الكلام الجيد عندهم، وأكثرهم عليه أقدر، وكل واحد في نفسه أنطق»[3]، ومعنى العبارة الأخيرة أن الفصاحة عند الفرس صناعة لا يعرفها إلا نفر محدود من المقربين إلى السلطة، على وفق نظام الطبقات القديم في إيران، بينما هي عند العرب عادة وسليقة، فأكثر العرب فصحاء ولا يهم من بعد ذلك أين يكون وأي المواقع يتبوأون. العربية إذاً في نظر الجاحظ ثقافة شعبية لا ثقافة فئة متسلطة، وهي إن انتشرت بسرعة بين شعوب غير عربية، فذلك لأنها شعبية فعلاً.

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 28.
(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 20 ـ 21.
(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 20 ـ 21.

وهذا أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة يدافع عن العربية من وجهة نظر مختلفة، فالعربية عنده ليست لغة القرآن فحسب أو لغة الشعب كما قال الجاحظ، وإنما هي لغة لها خصائصها الفريدة بذاتها، فمفرداتها أكثر سعة، وقدرتها أكثر مرونة، وقواعدها أجمل وأدق في ضبط الكلام، وإنها بالجملة لغة ناضجة متطورة يقول: «وقد سمعنا لغات كثيرة... فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفُرَجْ التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة بين مخارجها والمعادلة التي تذوقها في أمثلتها، والمساواة التي تجد في بنيتها»[1].

وفسر ابن خلدون قوله: «أوتيتُ جوامع الكلم واختصر لي الكلام»[2] بأنه تعبير على ما تتمتع به العربية من خصائص تميزها عن غيرها من اللغات، والزمخشري وإن لم يكن عربياً من حيث الدم، إلا أنه كان محباً للعرب إدراكاً منه أن لغتهم هي أشرف لغات العالم، فانطلق يرد على دعاوى الشعوبيين بكل سبيل كما يفهم ذلك من مقدمته لكتابه (المفصل في النحو) إذ قال: «الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجعلني على العقب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين، والمشق بأسنة الطاعنين»[3].

---

(1) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 77.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 546.

(3) الزمخشري، المفصل في النحو، (القاهرة، 1323هـ)، المقدمة.

ولاحظ عالم محب للعربية، وإن لم يكن عربياً، الجهود التي كان يبذلها الأعاجم في إضفاء طابع العجمة على الدولة، يقول محمد بن أحمد البيروني: «ديننا والدولة عربيان وتوأمان ترفرف على أحدهما القوة الإلهية، وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع، وخاصة منهم الجبل (يريد إقليم الجبل في شرق إيران) والديلم، في إلباس الدولة جلابيب العجمة، فلم يتقن لهم المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفاً صفاً، ويخطب به لهم في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم»[1].

وكان على الكتاب العرب أن يردوا بهدوء وعقلانية على تهم لم يكن الباعث وراء إطلاقها إلا التعصب، والتطرف، والجهل، فالكرم مثلاً، وهو من أكثر الصفات تأكيداً وأهمية عند العرب عده الشعوبيون مثلبة، وشرعوا بالكلام عليه بوصفه تعبيراً عن روح من التبذير والإسراف في غير موضعه، ثم إنهم بالغوا في ذلك حتى صار الكرم والسخاء عنواناً لكل منقصة أرادوا إلصاقها بالعرب، ولو كانت نظرتهم هذه مبنية على أساس من علم صحيح لأدركوا قيمة هذه الصفة وأهميتها في مجتمع تنقطع فيه السبل، بسبب رداءة الأحوال وتباعد المسافات فيكون القرى سبيلاً لأن يجد المسافر في وسط تلك الظروف وسيلة للعيش، لكنهم لم يكونوا يصدرون في

---

(1) البيروني، كتاب الصيدنة، (القاهرة، د.ت)، المقدمة.

اتهاماتهم إلا عن روح واضحة الحقد، وبالمقابل فإن أولئك الشعوبيين جعلوا من البخل الذي هو من طبيعة الفرس عهداً ذا قيمة يتغنون بها ويمتدحونها. وعلى أية حال فقد جاء رد الكتاب العرب هادئاً ومنطقياً، فالجاحظ مثلاً حين ألف كتابه (البخلاء) أشار إلى البخل عند الفرس بقوله: «يقول المروزي[1] للزائر إذا أتاه وللجليس إذا أطال جلوسه: تغديت اليوم؟ فإن قال نعم قال لو أنك لم تكن تغديت لغديتك بغداء طيب، وإن قال لا قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل أو كثير»[2]، ويستمر الجاحظ في طريقته الفكهة واصفاً نوادر من بخل الفرس حتى يجد القارئ نفسه في موقف لا يستطيع إلا أن يستخف فيه بدعاوى الشعوبيين، ففي الكرم العربي إيثار وتضحية وإحساس بمشاعر الغير ومشاركة لهم في ضرائهم، بينما لا يجد أحد في البخل أي قيمة طيبة بل لا يجد فيه إلا الأنانية والتقتير والحرمان وما إلى ذلك من صفات مقيتة.

ودافع كاتب آخر، هو ابن قتيبة عن الكرم العربي وعدّه من طبائع العرب الأصلية فقال مقارناً بين العرب في هذه الصفة وبين ما هي عليه الأمم الأخرى فقال: «وكذلك الأمم فيها أنه كرم بلبانها كالعرب، فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى في الحلم والترحم

---

(1) المنسوب إلى مدينة مرو في خراسان.

(2) الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، (القاهرة، 1958م)، ص 17.

وتتعاير بالبخل والعذر. . فإنما بذل أحدهم نفسه دون جاره ووفى ماله بماله وقتل دون حميمه»[1].

وأكد أبو حيان التوحيدي على أهمية الكرم بوصفه صفة أصيلة في الطبع العربي، وهو في ذلك ينتقد من يسعى بعدّها منقصة أو مثلبة ليسيء بها إلى العرب فقال: «وللعرب القرى والجود»[2].

ويظهر أن الشعوبيين لم يتركوا خلقاً طيباً عند العرب إلا وصبوا عليه جام غضبهم، فلمح ذلك من قول التوحيدي: «والعرب قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره وجبلها على أشرف الأخلاق بقدرته، ولهذا نجد أحدهم وهو في بت[3]، حافياً حاسراً يذكر الكرم ويفتخر بالمحمدة وينتحل النجدة»[4]، وواضح من العبارة الأخيرة أن المحمدة هي كل الأخلاق الحميدة، والنجدة هي الانتخاء لإغاثة الملهوف، وكانت هدفاً هي أيضاً لانتقادات شعوبية مستمرة. بل إن الشجاعة نفسها التي طالما تغنى بها العربي أصبحت هي أيضاً واحدة من مثالبه في نظر الشعوبيين، حتى إن الجاحظ اضطر إلى الرد على الشعوبية في هذه المسألة مشيراً إلى شجاعة العربي، وإنه كان (يقاتل بالليل والنهار) فلم يكن يخشى الليل،

---

(1) محمد كرد علي، رسائل البلغاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1954م)، ص 361.

(2) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 73.

(3) البت: كساء غليظ من صوف أو وبر، يراجع التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 83 الحاشية.

(4) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 83.

مستشهداً في ذلك بنماذج شعرية عديدة لفرسان شعراء[1].

وكثيراً ما تباهى الشعوبيون بما كان لدى فارس من تقاليد عسكرية ونظم حرب لم تكن للعرب مثلها، وإن العرب لا تعرف الكمين ولا استعمال ركب الحديد وانتقدوا أسلحة العرب، وهنا اضطر الجاحظ للرد على هذه الدعاوى مستشهداً بأمثلة عديدة من الشعر والأخبار التي تدل بما لا يحمل الشك على معرفة العرب بفنون القتال وأسلحته، وفي هذا يذكر المسعودي جواب بعض الخطباء العرب لكسرى حين انتقص من شأنهم بأنهم ما ملكوا الأرض بالحصون والأسوار وإنما اعتمدوا (على المرهفات الباترة والرماح الشارعة جُنَفاً وحصوناً)[2].

والظاهر أن الشعوبيين الفرس لم يبقَ في أيديهم من وسائل للطعن على العرب إلا ادعاءهم بتراث أدبي لم يكن لهم قط، وهكذا وجدنا كُتّاباً من فارس يشيدون بكتب وآداب فارسية قديمة لم تتبين صحة وجودها في العصور الماضية، وكأنهم أرادوا القول بأنه إذا كان للعرب كتاب كريم هو القرآن العظيم فإن الفرس لم يعدموا كتباً عظيمة ذات شأن، وقد رد الجاحظ على هذه الادعاءات رداً جميلاً يتسم بموضوعية ظاهرة مفاده أنه لا دليل على صحة نسبة تلك الكتب للفرس، وأن ما يظهره الفرس في العصر الإسلامي لا جذر له في تاريخهم السابق على الإسلام. يقول: «ونحن لا

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 15.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 49.

نستطيع أن نعلم أمن الرسائل في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون. . . لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل»[1].

وسعى الشعوبيون إلى وضع روايات كاملة عن أحداث تاريخية بهدف تشويه صورة العرب والطعن بقيمهم، من ذلك الرواية التي روج لها بعض الكتاب حول الخليفة العباسي هارون الرشيد وهي التي صورته معاقراً للخمر مصاحباً للندامى مما دفع بمؤرخين ثقات منهم العلامة ابن خلدون إلى نقد مثل تلك الروايات نقداً علمياً تكشف عن أوجه الدس فيها قال: «وإما ما تُموّه له الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان، فحاشى لله ما علمنا عليه من سوء، وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب بمنصب الخلافة والدين والعدالة وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلاة وشهود الصبح لأول وقتها، وروي أنه كان يصلي لكل يوم مائة ركعة نافلة، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً»[2].

ولم يتردد الشعوبيون في الطعن بالأسرة العباسية الهاشمية القرشية فاختلقوا رواية تقول بوجود علاقة مزعومة بين العباسة بنت محمد المهدي وأخت الرشيد وجعفر بن يحيى البرمكي الفارسي، بيد أن الكتاب العرب لا تفتهم هذه المزاعم الباطلة، بل عرضوها

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 22.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 17 ـ 18.

على منهج البحث التاريخي الذي توصلوا إليه، فتأكد لهم أنها لم تكن إلا أباطيل شعوبية[1].

ولاحظ الشعوبيون مدى اعتزاز العربي بنسبه فعمدوا إلى الحط من قيمة هذا النسب، حتى إنهم ألّفوا الكتب ووضعوا الرسائل في مثالب قبائل العرب والطعن في صحة أنسابهم، ولم يكن من وراء عملهم هذا إلا الوصول إلى نتيجة حاولوا الترويج لها وهي أن الشرف للفرس فحسب وأنه لا شرف لأحد غيرهم، متناسين أن دين الفرس القديم نفسه كان يحث على الإباحية المطلقة، ومزدك نبيهم كان يدعو جهرة إلى شيوعية النساء وهذا ما كان يؤدي إلى اختلاف الأنساب، فأين هم من تمسك العربي بنسبه وحفظه على ظهر الغيب، أسماء آبائه واحترام هؤلاء الآباء والتضحية بالنفس والمال في سبيل عرضه، وتدقيقه في نسب أصهاره.

ولقد انبرى المؤرخون والنسابون العرب للدفاع عن هذا الجانب من تراثهم القومي، فكتب محمد بن السائب الكلبي (ت، 146هـ)[2] وأبو يقظان سحيم بن حفص (ت، 190هـ)[3]

---

(1) محمد جاسم المشهداني، الجذور التاريخية للرواية الشعوبية والموقف النقدي منها، أبحاث وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج2، ص 179.

(2) نسابة، راوية، لغوي، عالم بأخبار العرب، من أهل الكوفة، شهد معركة دير الجماجم ضد مصعب بن الزبير، ثم انصرف إلى الدراسات اللغوية والتاريخية، درس في الكوفة وأقام زمناً في البصرة وتوفي بالكوفة، من آثاره تفسير القرآن. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 643.

(3) هو عامر بن حفص، ويلقب بسحيم (أبو اليقظان) عالم بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب، له كتاب النسب الكبير، كتاب النوادر وأخبار تميم وغيرها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج11، ص 180.

وهشام بن محمد الكلبي (ت، 206هـ)[1] ومصعب الزبيري (ت، 233هـ)[2] وأبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي (ت، 243هـ)[3] والزبير بن البكار (ت، 256هـ)[4] وعمر بن شبه (ت، 262هـ)[5] وغيرهم، كتباً في أنساب العرب فحفظوا تلك الأنساب وجعلوها في مأمن من محاولات الطعن والتشويه التي ذهبت إليها الشعوبية[6].

ولم يقتصر الدس الشعوبي على الفئات الفارسية فحسب، على الرغم من أن هذه الفئات كانت الأكثر نشاطاً في هذا المجال وإنما شمل بعض الجامعات الأخرى في بلاد الأندلس، ففي هذا الجزء من الدولة العربية الإسلامية كانت ثمة صراعات دائمة بين العرب

---

(1) عالم بأنساب العرب، ولد وتوفي بالكوفة عمل في بغداد، له كتاب الأنساب الكبير أو جمهرة الأنساب وكتاب الأصنام ونسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام وغيرها. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 95.

(2) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الزبيري، أديب، محدث، شاعر، نسابة، سكن بغداد وله كتاب النسب الكبير ونسب قريش. ينظر: ابن النديم الفهرست، ج1، ص 110.

(3) أديب أخباري من أصحاب الواقدي تولى القضاء وسمع بدمشق، له عروة بن الزبير، طبقات الشعراء، الآباء والأمهات والقادة الشعراء. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج9، ص 18.

(4) عالم بأنساب العرب من أهل المدينة ولي قضاء مكة وقدم بغداد وحدث بها، توفي بمكة، له أنساب قريش وأخبارها، أخبار العرب وأيامها، وفود النعمان على كسرى وغيرها. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص 467.

(5) أديب، نحوي، لغوي، أخباري، فقيه نشأ في البصرة وتوفي بسر من رأى (سامراء حالياً) له كتاب النحو، طبقات الشعراء، أخبار المنصور وغيرها ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 478.

(6) عبد الله سلوم السامرائي، الشعوبية، ص 189.

المسلمين وبين الإفرنجة وكان هدف الأخيرين هو إنهاء الوجود العربي الإسلامي، ومحو أي أثر للعرب وحضارتهم في الأندلس فلم يأل أعداء العرب مبدأً في سبيل محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي والتقاليد والأعراف والقيم العربية، فمن تلك العناصر الشعوبية التي بالغت في ذم العرب ابن سيده[1] صاحب كتاب (المخصص) الذي كان شعوبياً (يفضل العجم على العرب)[2]، وأحمد بن غرسية[3]. صاحب أقوى صوت شعوبي عرفته الأندلس، وقد اشتهر الأخير برسالته التي يفضل فيها العجم على العرب.

والعجيب أن ابن غرسية لم يكن فارسياً ومع ذلك فإنه افتخر بهم ومجدهم ورفع من شأنهم، وتفسير ذلك أن الفرس أصبحوا في هذه المرحلة مثالاً لكل محاولة للحط من قيمة العرب، إذ يقول على سبيل المثال: «أما علمتم أن الدولة الأنوشروانية، والمملكة

---

(1) هو علي بن إسماعيل الأندلسي (ت،458هـ) عالم بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، ولد بمرسية توفي بدانية، له: المحكم والمحيط الأعظم في لغة العرب، شرح الحماسة لأبي تمام، الوافي في علم القوافي وغيرها، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص . 431

(2) عبد السلام محمد هارون، نوادر المخطوطات، ج3، (القاهرة، 1972م)، ص 223.

(3) هو أبو عامر أحمد بن غرسية (ت،459هـ)، من أبناء النصارى ينتمي إلى البشكنس شمال إسبانيا، أسر صغيراً واعتنق الإسلام وتربى في بلاط مجاهد العامري، وكانت له علاقة بابن سيده ويعد ابن غرسية صاحب أقوى صوت شعوبي عرفته الأندلس. ينظر: الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت،542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ج1 (بيروت، 1979) ص 34.

الأردشيرية بقروا أجوافكم، وخلعوا أكتافكم ثم عطفوا ورأفوا، وملكوكم الميرة بعد الحيرة، قللاً ذللاً تتخيرون البنات عند البيات، مبهورات لا ممهورات، فبرم من ذلك غسانكم ونعمانكم، وكان برمه سبباً لدرء أمانكم، فأصبح بعد جر الذيول مدوساً بأخفاف الفيول»[1] ويدل هذا على أن مفاهيم الشعوبية وأفكارها كانت واحدة سواء بالمشرق أو بالمغرب.

ومكمن الإساءة في رسالة ابن غرسية أنه صور العرب بوصفهم شعباً من أصل غير حر ونسب غير صاف، مستضعفاً سياسياً وعسكرياً، ومضطراً لسكن بوادي الجزيرة، حيث تدور حياته بين الحيوانات الداجنة وحيوانات الصحراء، دون أخلاق عالية أو أفكار سامية، وهو يمجد الفرس والروم، وأما تمجيده للروم فيحمل على كونهم الأعداء الطبيعيون لعرب الأندلس، أما تمجيده للفرس فذلك لحاجته إلى ما كتبته الشعوبية في المشرق.

أثارت رسالة ابن غرسية ردوداً عربية مهمة منها ما كتبه أبو جعفر أحمد البلشي (ت،477هـ) والأديب أبو الطيب عبد المنعم القيرواني ويعرف بالقروي (ت،493هـ) ومحمد بن أبي الخصال الغافقي (ت،540هـ) وعبد المنعم بن محمد الغرناطي (ت،597هـ) ويوسف بن حمد المالكي المعروف بالبلوي (ت،605هـ) وغيرهم.

وكان ردهم على وجه العموم يمثل تحدياً لأفكار ابن غرسية

---

(1) عبد السلام محمد هارون، المصدر نفسه، ص 250.

ومن وراءه، واعتبر عملهم جهاداً من قبل القائمين به من ذلك مثلاً عنوان رسالة ابن أبي الخصال المسماة (خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية الفاسق في تفضيله العجم على العرب)[1].

ثانياً ـ موقف الشعراء:

تعلم الفرس الشعر العربي لا حباً به، وإنما يتخذونه سلاحاً بيدهم يشهرونه في وجه العرب، إدراكاً منهم إلى اهتمام العرب الشديد بالشعر وتقديرهم له وإصغائهم لمعانيه، لذا لم يكن مستغرباً أن يعمد شعراء شعوبيون عرفوا بكرههم للعرب، إلى نظم قصائد وأبيات غايتها الوحيدة تحقيق أهداف الشعوبية المعروفة في الحط من العرب أمة وقيماً ووجوداً، فمن هؤلاء شرحبيل بن برد المعروف بابن ميادة، فإنه ذم العرب وافتخر بقومه الفرس، فما كان من الحكم بن معمر الخضري إلا أن رد عليه بقصيدة جاء فيها:

وما لك فيهم من أب ذي وسيعة
ولا ولدتك المحصنات الكرائم[2]

وشبه يزدان بن باذان، من زنادقة العصر العباسي الأول حجاج بيت الله بأنهم كالبقر تدوس البيدر فرد عليه الشاعر العلاء بن الحداد بأبيات يشيد فيها بالخليفة موسى الهادي قال فيها:

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر

---

(1) علي عبد القادر، حول رسالة أبي عامر أحمد بن غرسية، الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج2، ص 425.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص 100.

مـاذا تـرى فـي رجـل كـافـر يـشـبـه الـكـعـبـة بـالـبـيـدر

ويـجـعـل الـنـاس إلـى مـا سـعـوا جمراً تدوس البر والدوسر[1]

ومن الشعراء الشعوبيين بشار بن برد الذي بلغ به الحقد على العرب ودينهم أن نادى في شعره صراحة بتفضيل دين المجوس على الإسلام فقال في بعض شعره:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار[2]

وممن داخلتهم الشعوبية أبو نواس، فقد بلغ به مجونه حداً نال فيه من قريش، ومع أنه يعلم بأنها قبيلة النبي ﷺ ومنها الأئمة والخلفاء فقال في هجاء قريش:

أما قـريـش فـلا افـتـخـار لـهـا إلا الـتـجـارات مـن مـكـاسـبـهـا

إن قـريـشـاً إذا هـي انـتـسـبـت كان لها الشطرُ من مناسبها[3]

ودعا أبو نواس صراحةً إلى الاستهانة بحدود الله تعالى:

قـالـت حـرامـاً تـبـتـغـي قـلـت لا مـن حـرم الـنـاس عـلـى الـنـاس

نـحـن جـمـيـعـاً مـن بـنـي آدم مـن حـرم الـورد عـلـى الآس

قـالـت ومـن حـلـل هـذا لـكـم قـلـت عـلـيّ وابـن عـبـاس[4]

وعمد بعض الشعراء من الشعوبيين إلى التحقير وانتهاك العرض، فقدموا الأمهات والزوجات بشكل يرفضه الخلق ويتحرج

---

(1) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص 67.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 33.

(3) أبو نواس، ديون أبي نواس، رواية الصولي، تحقيق بهجت الحديثي، (القاهرة، 1985م) ص 865.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 107.

المرء من إيراد الأمثلة على ذلك وهو كثير وخاصة في شعر هجاء بشار بن برد وحماد عجرد[1].

وقد رد الشعراء العرب على ذلك كله بقصائد دافعوا فيها عن قيم أمتهم ونافحوا فيها عن رسالة السماء، فحينما زاد نفوذ البرامكة أدرك الشعراء خطرهم فأخذوا يستحثون الخليفة الرشيد للقضاء عليهم ومن ذلك قصيدة جاء فيها[2]:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد

ومن هذه القصائد[3]:

قل لأمين الله في أرضه ... ومن إليه الحل والعقد

هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً ... مثلك ما بينكما حد

أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له رد

وحين افتخر عبد اللّه طاهر بن الحسين بأبيه عندما قتل الأمين وتعرض للعرب وشجاعتهم رد عليه الشاعر العربي محمد بن يزيد الأموي بقوله[4]:

لا يرعك القال والقيل ... كلما بلغت تضليل

يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاديه سراويل

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص 191؛ ج14، ص 326 ـ 329 ـ 331 ـ 334.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص 321.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 107.

(4) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج1، ص 66 ـ 67.

ولم يكتف الشعوبيون بهجو العرب وإنما عمدوا إلى إفساد الشعر عن طريق انتحاله ونسبته إلى الشعراء العرب القدامى من أجل اختلاط الأصيل بالمنحول، مثلهم في صنيعهم هذا مثل وضاع الحديث النبوي الشريف الذين كانوا يتعمدون وضع الأحاديث ودسها بين الحديث الصحيح من أجل اختلاط المدعى بالصحيح فلا يتبين المرء سبيله في فوضى منه، وهكذا الأمر كان بالنسبة لرواة الشعر من الشعوبيين، ومن الذين كانوا قريبين من الشعوبية، حتى إن بعضهم وضعوا دواوين كاملة نسبوها إلى هذا أو ذاك من شعراء ما قبل الإسلام، ولم تكن نوايا هؤلاء الوضاع ببعيدة عن الغرض، لأن حماد الراوية الذي اشتهر بكثرة روايته للشعر القديم اعترف أمام المهدي صراحة بأنه تعمد وضع الشعر لإفساده.

وإدراكاً من أدباء العربية وشعرائها لخطورة هذا المدخل الجديد في تشويه تراثهم الأدبي، عمدوا إلى جمع ما هو صحيح من شعر هؤلاء الشعراء وتصانيفهم في طبقات محددة واضعين بذلك أسس علم جديد هو علم (النقد الأدبي)، ولم تكن الغاية من وراء صنيعهم هذا إلا الكشف عمّا هو مدخول على أولئك الشعراء، فمن تلك الكتب ما ألفه الأصمعي حين جمع جملة من أشعار العرب بلغ مجموع أبياتها ألفاً ومئة وثلاثة وستين بيتاً، وعدد واحداً وستين شاعراً من شعرائها، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين[1].

---

(1) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة دار المعارف، ج1، (القاهرة، 1962م)، ص 49.

وجمع أبو زيد القرشي[1] جملة من أشعار العرب أطلق عليها (جمهرة أشعار العرب) وقد قسمها بحسب طبقات الشعراء من شعراء، قبل الإسلام وأمويين. وكتب محمد بن سلام الجمحي[2] كتابه (طبقات الشعراء) وألف ابن قتيبة[3] (الشعر والشعراء) وألف ابن المعتز[4] (طبقات الشعراء أيضاً)[5].

وفي مقابل شعر المجون والتبذل الذي أشاعه الشعراء الشعوبيون والماجنون، أدرك شعراء عرب أهمية الشعر كمحفز

---

(1) هو محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت،170هـ) وذكرت مصادر أخرى أن وفاته (230هـ) وهناك فرق كبير بين الرأيين ولا يعرف الكثير عن حياته لأن كتب التراجم لم تترجم له، سوى أنه عرف بكتابه (جمهرة أشعار العرب)، ينظر: البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، وكالة المعارف، ج2، (استنبول، 1951م)، ص 8.

(2) هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري، الجمحي، ولد في البصرة وتوفي في بغداد، سنة 231هـ، أديب، لغوي، أخباري، ناقد، راوية، روى الشعر والأدب عن الأصمعي والمفضل الضبي وغيرهم، ويعد كتابه (طبقات الشعراء) أول كتاب تناول نقد الشعر عند العرب من الناحيتين التاريخية والفنية. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 113؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 12.

(3) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم، ويعرف بالدينوري أو الكوفي، ولد بالكوفة سنة 213هـ، وعاش متنقلاً بين دينور وخراسان والبصرة، واتصل بالجاحظ ثم انتقل إلى بغداد وتوفي فيها سنة 276هـ، له مؤلفات كثيرة منها: أدب الكاتب، عيون الأخبار، كتاب المعارف وغيرها، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 77؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص 170.

(4) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل، أمير وشاعر وأديب عباسي، ولي الخلافة يوماً واحداً بعد خلع المقتدر ولقب بالمرتضي بالله، ولد سنة 247هـ وتلقى علومه من العلماء النحويين والأخباريين كالمبرد وغيره، وله ديوان شعر جمعه الصولي، وطبقات الشعراء وغيره، مات خنقاً على يد مؤنس الخادم سنة 296هـ، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 250؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص 95.

(5) بروكلمان، المصدر السابق، ج1، ص 77 ـ 78.

للجهاد في سبيل المبادئ والقيم ومؤكد على كل ما هو متفق مع قيم الرجولة والشجاعة، فجمع أبو تمام[1] مجموعة كبيرة من قصائد لشعراء عرب مثيرة للحماسة في مجموع سماه (الحماسة)، فجاء هذا الكتاب تعبيراً عن قدرة الشعر في الرد على محاولات شعوبية أرادت استغلاله من أجل ضرب قيم الفروسية العربية والمبادئ السامية التي عرف بها الإنسان العربي.

وفعل البحتري[2] فعل أبي تمام حين جمع هو أيضاً كتاباً ضم فيه جملة وافرة من القصائد العربية المثيرة للهمم سماه (الحماسة) أيضاً. وهكذا كان للشعراء العرب دورهم في صد محاولات الشعوبية لتشويه التراث الأدبي للأمة العربية، ليس حرصاً منهم على سلامة هذا التراث فحسب وإنما وعياً منهم إلى ما يكمن وراء هذه المحاولات من مساع لتخريب الشخصية القومية للعرب، وهو أمر ينجم عنه بالضرورة ضرب الإسلام نفسه، ذلك الدين القيم الذي يتحمل العرب مسؤولية الحفاظ عليه والدفاع عنه ونشره بين أمم الأرض جميعاً.

---

(1) هو حبيب بن أوس الطائي، شاعر وأديب عباسي ولد سنة 190هـ وتنقل في بلاد الشام والعراق ومصر، توفي في الموصل 231هـ، وهناك اختلاف في سنة ولادته ووفاته، يمتاز شعره بالخيال الواسع، له ديوان الحماسة وفحول الشعراء وغيرها، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 165.

(2) البحتري: هو عبادة بن عبيد الطائي تختلف كتب التراجم في ولادته ولكن ابن الأثير يجزم في كتابه الكامل في التاريخ بأنه ولد في سنة 206هـ وهو يذكر هذا عند الكلام عن وفاة الشاعر في حوادث سنة 283هـ. ويعد البحتري ثاني شعراء القرن الثالث الهجري بعد أبو تمام شيخ الشعراء، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 175.

الخاتمة

لم يكن هدف هذا البحث تقديم عرض تاريخي للشعوبية في مرحلة أو مراحل تاريخها الطويل، ولم يكن تقديم تعريف يجمع بين المفهوم القديم وما نفهمه اليوم، كل هذه الأمور عالجها وتناولها الكتَّاب القدامى وتصدوا له بدراسات قيمة ومباحث جليلة، أصبحت لنا مراجع فيما بعد.

الذي نقوله: إن الأمة العربية واجهت خلال جهادها ومسيرتها الظافرة أخطاراً وتحديات كثيرة، وكان من أخطر هذه التحديات الشعوبية التي احتضنها الفرس بهدف إسقاط الفكر العربي الإسلامي وصولاً إلى هدم كيان الدولة العربية الإسلامية.

فالشعوبية كانت عقدة لدى الفرس، هذه العقدة أدت إلى محاربة العرب المسلمين في كل شيء كما تبين لنا آنفاً، فالعداء الفارسي للعرب لم يكن العداء الوحيد الذي واجهته الأمة العربية، ولكنه يمتاز بأنه يعبر عن سلوك معقد غير سوي ومن هنا تكمن

خطورته، كما أن الشعوبية في جوهرها وحقيقتها لم تكن إلا لهدم وانتفاء ومحاربة العرب ثم تظاهرها بالإسلام، وأنها أدخلت أفكاراً وعقائد وفرق لم تمت إلى الإسلام بأية صلة، وأن أصولها كانت مستمدة من خليط من المعتقدات المجوسية التي استغلت الدين الإسلامي لتنفيذ أهدافها العدوانية وأطماعها العنصرية، وأنها أوجدت الزندقة التي هي مظهر من مظاهرها وسلاح استخدمته الشعوبية في معاداتها للإسلام والعروبة وكلاهما يستوحي أفكاره من المعتقدات الفارسية القديمة.

وقد أظهرت الدراسة أن كل البدع والتحريف والأفكار التي لحقت بالدين الإسلامي كانت يد الشعوبية وراءه بهدف إحياء دياناتها الغريبة عن الإسلام وإعادة مجد مضى وتولى، كما أظهرت لنا الدراسة أن كل الحركات التي قامت لزعزعة الدين الإسلامي وكل الفتن التي نشبت كانت بدسٍّ من الشعوبية التي ظهرت بوادرها نهاية العصر الأموي ونظمت خلال العصر العباسي، وهذا ما رأيناه عند مساندتها للعباسيين وثورتهم على الأمويين، وكانت هذه المحاولة في تقريب العباسيين لهم قد أشعلت روح الطموح في صدور الفرس لاستعادة مجدهم الغابر.

ولا نغالي إذا قلنا إن العداء الفارسي للعرب بصورة عامة وللعراق بصورة خاصة لم ينشأ أثناء ظهور الإسلام، وإنما هو عداء منذ القدم يمتد إلى محاولة العيلاميون غزو مملكة أكد وسومر وبابل، واستمر هذا الصراع في زمن الفرثيين والساسانيين، إلى أن

جاء التحدي الكبير والنصر المؤزر الذي انتصر فيه العرب على الفرس في معركة ذي قار التي خلدها الرسول العظيم محمد ﷺ بقوله: «**هذا أول يوم انتصف فيه العرب على العجم وبي نصروا**»، فضلاً عن هذا فقد تأججت نار حقد الفرس أثناء الفتح العربي الإسلامي وسقوط الدولة الساسانية على يد العرب حملة الراية الإسلامية.

وبعد كل هذه الانتصارات أيقن الفرس أن مواجهتهم للعرب عسكرياً غير مجدية، فأخذوا يخططون المؤامرات ضامرين حقدهم في أنفسهم والتظاهر بالإسلام والعمل الباطني ضده من الداخل، متعاونين مع كل الحاقدين والماكرين على الدين الإسلامي.

وكان تركيز الشعوبية منذ البدء على العراق سواء في العصور القديمة أو الحديثة، وكان لهم أبناء العراق قديماً وحديثاً بالمرصاد وأعطت للعرب المسلمين دافع اليقظة والحذر والتصدي لهذه الهجمة الضالة، وهذا ما لمسناه من خلال موقف العرب المسلمين من الشعوبية وانتصارهم عليها، وإخفاق هذه الحركة في زعزعتها للعقيدة الإسلامية، فكان للفقهاء والعلماء والكتاب دورهم التاريخي المشرف الذي شهدته تلك المواجهة في الذود عن العروبة والإسلام، مما يعطي انطباعاً أن العقيدة الإسلامية رغم كل الذي واجهته كانت عقيدة قوية لا تصدها هذه الحركات، وأن الله سبحانه وتعالى كان اختياره للعرب لحمل رسالته من دون الأمم الأخرى موضع اختيار إلهي ينطوي على حكمة وإرادة بالغة الأهمية، فأثبتت

الأمة العربية بتصديها للشعوبيين وانتصارها عليهم، أنها أقوى من أي خطر مهما تشعبت تياراته، وأنها قادرة على تحقيق الانتصار على جميع الأعداء في كل المعارك الفكرية والعسكرية وفي كل الأزمنة.

هذا ما استنتجناه من خلال إظهار حقيقة الشعوبية ولما قامت به من معاداتها للعروبة والإسلام. أسأل الله أن أكون قد وفقت في عملي هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

المصادر والمراجع

أولاً ـ القرآن الكريم:

ثانياً ـ المخطوطات:

1 ـ الميلوي، يوسف، (ت،1130هـ)، **أحسن المسالك في أخبار الممالك**، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد وبرقم (3/ تاريخ).

2 ـ الهيثمي، شهاب أحمد بن محمد بن حجر، (ت،973هـ)، **مبلغ الأدب في فخر العرب**، مخطوطة في دار صدام للمخطوطات في بغداد برقم 29833/ 3.

ثالثاً ـ المصادر الأصلية:

1 ـ الأتليدي، محمد ذياب، (ت،110هـ)، **أعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس**، القاهرة، 1367هـ.

2 ـ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت،630هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1965م.

3 ـ إخوان الصفا، جمعية ذات طابع سياسي ديني، (نحو، 373هـ)، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، دار صادر، بيروت، 1957هـ.

4 ـ الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو، (ت،717هـ)، **خلاصة الذهب المسبوك**، تصحيح مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

5 ـ الأزهري، محمد أحمد أبو منصور، (ت،370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد علي البخار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964م.

6 ـ الإسفرائيني، أبو المظفر محمد بن طاهر، (ت،471هـ)، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين**، تحقيق محمد زاهر الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م.

7 ـ الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت،324هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1950م.

8 ـ الأصفهاني، حمزة بن الحسين، (ت،350هـ)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، تحقيق جوتوالد، طبعة لبسك، د.ت.

9 ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت،356هـ)، **الأغاني**، مطابع كوستاتوماس وشركاؤه، القاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م.

10 ـ الأندلسي، صاعد بن أحمد التغلبي، (ت،462هـ)، **طبقات الأمم**، تحقيق حياة بو علوان، بيروت، 1975م.

11 ـ البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت،256هـ)، **الجامع الصحيح**

(المشهور بصحيح البخاري)، طبع محمد صبيح، القاهرة، د.ت.

12 ـ بشار بن برد، (ت، 167هـ)، **ديوان بشار بن برد**، نشر محمد الطاهر بن عاشور، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1955م.

13 ـ البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت، 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح الكافية**، المطبعة الأميرية، د.ت.

14 ـ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، (ت، 429هـ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم**، تحقيق محمد زاهر الكوثري، نشر عزت العطار، القاهرة، 1948م.

15 ـ البكري، عبد اللّه بن عبد العزيز، (ت، 488هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

16 ـ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (ت، 440هـ)، **الفلسفة الهندية**، تحقيق عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مطبعة أحمد علي مخيمر، القاهرة، د.ت.

17 ـ **كتاب الصيدنة**، القاهرة، د.ت.

18 ـ الترمذي، محمد بن عيسى، (ت، 270هـ)، **سنن الترمذي**، المكتبة السلفية، ج 3، (المدينة المنورة، د.ت).

19 ـ التنوخي، أبو علي الحسن بن القاسم، (ت، 384هـ)، **الفرج بعد الشدة**، مطبعة المثنى، بغداد، 1955م.

20 ـ التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، (ت، 387هـ)، **الإمتاع**

والمؤانسة، أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1953م.

21 ـ ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين، (ت،728هـ)، **اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، 1987م.

22 ـ **منهاج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1962م.

23 ـ **مجموعة الرسائل والمسائل**، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، القاهرة، 1341هـ.

24 ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت،429هـ)، **ثمر القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، 1965م.

25 ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت،255هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1938م.

26 ـ **رسالة الجاحظ في بني أمية**، القاهرة، 1932م.

27 ـ الجاحظ، **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، 1947م).

28 ـ **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، 1958م.

29 ـ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، (ت،331هـ)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938م.

30 ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت،597هـ)، **تلبيس إبليس أو نقد العلم والعلماء**، مكتبة التحرير، بغداد، 1988م.

31 ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1357هـ ـ 1359هـ.

32 ـ **الموضوعات**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، السعودية، 1966م.

33 ـ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (ت،655هـ)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1967م.

34 ـ ابن حزم، أبو محمد علي أحمد الظاهري، (ت،456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1317هـ ـ 1320هـ.

35 ـ الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي القيرواني، (ت،453هـ)، **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق عيسى البابي وشركاؤه، القاهرة، 1925م.

36 ـ الحميري، أبو سعيد نشوان، (ت،573هـ)، **الحور العين**، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، القاهرة، 1948م.

37 ـ ابن حنبل، أحمد بن محمد، (ت،241هـ)، **المسند**، مطبعة الحلبي، القاهرة، د.ت.

38 ـ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، (ت،1089هـ)،

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ.

39 ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت، 463هـ)، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

40 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن حمد، (ت، 808هـ)، **المقدمة**، دار العلم، بيروت، 1978م.

41 ـ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت، 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1948م.

42 ـ الخياط، عبد الرحيم محمد بن عثمان المعتزلي، (القرن الرابع الهجري)، **الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**، تحقيق ألبير نادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1957م.

43 ـ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت، 321هـ)، **الاشتقاق**، طبعة نموتا، 1954.

44 ـ الديلمي، محمد بن الحسن، (ت، 711هـ)، **قواعد عقائد آل محمد**، تحقيق وتقديم محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة، القاهرة، 1950م.

45 ـ **بيان مذهب الباطنية وبطلانه**، تصحيح شتروطمان، مطبعة الدولة، استنبول، 1938م.

46 ـ الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد عثمان، (ت، 748هـ)، **دولة الإسلام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

47 ـ الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، (ت،320هـ)، **رسائل فلسفية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.

48 ـ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، (ت،565هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

49 ـ ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي، (ت،117هـ) **ديوان ذي الرمة**، شرح أبي نصر أحمد سيد حاتم الباهلي، تحقيق عبد القدوس أبو صاع، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1972م.

50 ـ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي، (ت،1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1306هـ.

51 ـ الزمخشري، محمد بن عمر، (ت،528هـ)، **الكشاف**، القاهرة، 1329هـ.

52 ـ **المفصل في النحو**، القاهرة، 1323هـ.

53 ـ ابن سعد، أبو عبد الله محمد، (ت،230هـ)، **الطبقات الكبرى**، طبعة إدوارد سخو، ليدن، 1950م.

54 ـ ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت،458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق مصطفى السقاء حسن نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1950م.

55 ـ ابن سينا، أبو علي الحسين، بن عبد الله، (ت،428هـ)، **رسالة أضحوية في أمر المعاد**، تحقيق سليمان دنيا، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1949م.

56 ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت،911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة القاهرة، 1959م.

57 ـ **الجامع الكبير**، تعليق علي سامي النشار، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973م.

58 ـ **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.

59 ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (ت،790هـ)، **الاعتصام**، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

60 ـ الشافعي، محمد بن إدريس، (ت،204هـ)، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، 1939م.

61 ـ الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت،542هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979.

62 ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، (ت،548هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1961م.

63 ـ الصولي، محمد بن يحيى، (ت،336هـ)، **أدب الكاتب**، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت.

64 ـ **أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق**، نشره ج ـ هيورث، دار المسيرة، بيروت، 1979م.

65 ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (ت،360هـ)، **المعجم**

الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، بغداد، 1984م.

66 ـ الطبري، محمد بن جرير، (ت،310هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1326هـ، 13 جزءاً طبعة ليدن، 1876 ـ 1901م في 13 جزءاً.

67 ـ الطرماح، بن حكيم بن نقر الطائي (ت،105هـ) ديوان الطرماح، لوزاك، لندن، 1927م.

68 ـ ابن الطقطقي، فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا، (ت،709هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.

69 ـ العامري، أبو الحسن (ت،381هـ)، **الأعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة، الرياض، 1988م.

70 ـ ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت،328هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948 ـ 1953م.

71 ـ ابن عراق، أبو الحسن بن علي بن محمد الكناني، (ت،907هـ)، **تنزيه الشريعة المرفوعة**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، مطبعة عاطف، القاهرة، د.ت.

72 ـ عريب، بن سعيد القرطبي، (ت،366هـ)، **صلة تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

73 ـ العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت،852هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1328هـ.

74 ـ العمري، ابن فضل الله، (ت،749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق دور تياكرا فولسكي، الجزء الخاص بالعرب، بيروت، 1985م.

75 ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت،505هـ)، **فضائح الباطنية**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الكتب، الكويت، د.ت.

76 ـ الغزالي، **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، تحقيق سليمان دنيا، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1961م.

77 ـ **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972م.

78 ـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت،395هـ) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1979م.

79 ـ الفخري، علي بن محمد بن عبد اللّه، (توفي في القرن التاسع الهجري)، **تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان**، تحقيق رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، 1994م.

80 ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت،732هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت.

81 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت،175هـ)، **كتاب العين**،

تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، ج1، بغداد، 1980م.

82 ـ القاضي، عبد الجبار المعتزلي، (ت،415هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1965م.

83 ـ **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، تحقيق أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1960م.

84 ـ ابن قتيبة، عبد اللّه بن مسلم، (ت،276هـ)، **كتاب العرب أو الرد على الشعوبية، في رسائل البلغاء**، اختيار محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954م.

85 ـ **المعارف**، تحقيق محمد إسماعيل عبد اللّه الصاوي، المطبعة الإسلامية، القاهرة، 1934م.

86 ـ **تأويل مختلف الحديث**، تصحيح وضبط محمد زهري النجار، دار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م.

87 ـ القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب، (ت،170هـ)، **جمهرة أشعار العرب**، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1308هـ.

88 ـ القمي، سعد بن عبد اللّه بن أبي خلف الأشعري، (ت،301هـ) **المقالات والفرق**، تحقيق محمد جواد مشكور، طهران، 1963م.

89 ـ ابن قيم، الجوزية، شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر، (ت،751هـ)، **المنار المنيف في تصحيح الضعيف**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مطابع دار العلم، بيروت، 1970م.

90 ـ الكتبي، محمد بن شاكر، (ت،764هـ)، **فوات الوفيات**، تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1951م.

91 ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت،774هـ)، **البداية والنهاية في التاريخ**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348 ـ 1358هـ.

92 ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت،329هـ)، **أصول الكافي**، تحقيق عبد الحسين المظفر، النجف، 1957م.

93 ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت،450هـ)، **نصيحة الملوك**، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد، 1986م.

94 ـ **أدب الدنيا والدين**، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، 1980م.

95 ـ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1357هـ.

96 ـ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت،285هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، مطبعة النهضة، القاهرة، د.ت.

97 ـ المجلسي، محمد باقر الأصفهاني، **بحار الأنوار**، طبعة حجرية، طهران، 1315هـ.

98 ـ المرتضى، علي عبد الحسين الموسوي، (ت،436هـ)، **آمالي المرتضى**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

99 ـ المسعودي، أبو الحسن بن الحسين بن علي، (ت،346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرجاء، القاهرة، 1938م.

100 ـ المسعودي، **التنبيه والأشراف**، دار الصاوي للطباعة والنشر، القاهرة، 1938م.

101 ـ مسكويه، أحمد بن محمد (ت، 421هـ)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، مطبعة التمدن الصناعية، القاهرة، 1914م.

102 ـ مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري، (ت، 261هـ)، **الجامع الصحيح**، ج1، القاهرة، 1954م.

103 ـ المفيد، محمد بن نعمان، (ت، 363هـ)، **شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد**، مطبوع مع أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تقديم وتعليق، هبة الدين الشهرستاني، المطبعة الحيدرية، النجف، 1973م.

104 ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت، 845هـ)، **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، القاهرة، 1939م.

105 ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة، 1934م.

106 ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مطبعة النيل، القاهرة، 1324 ـ 1326هـ.

107 ـ ابن منظور، محمد بن عبد الكريم، (ت، 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1955 ـ 1956م.

108 ـ ابن النديم، محمد بن إسحق ، (ت، 383هـ)، **الفهرست**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

109 ـ النسائي، أبو عبد الرحمن بن علي، (ت،303هـ)، **سنن النسائي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

110 ـ أبو نواس، الحسن بن هاني، (ت،195هـ)، **ديوان أبي نواس**، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، 1953م.

111 ـ **ديوان أبي نواس**، رواية الصولي، تحقيق بهجت الحديثي، القاهرة، 1985م.

112 ـ النوبختي، أبو الحسين بن موسى، (ت،817هـ)، **فرق الشيعة**، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1936م.

113 ـ ابن هشام، محمد بن عبد الملك، (ت،218هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م.

114 ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، (ت،807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1353هـ.

115 ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، (ت،626هـ)، **معجم الأدباء ـ المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تصحيح واعتناء مرجليوت، القاهرة، 1923 ـ 1931م.

116 ـ اليعقوبي، أحمد، (ت،284هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، طبعة النجف، 1358هـ.

117 ـ **البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، 1891م.

118 ـ **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م.

رابعاً ـ المراجع الحديثة:

1 ـ إبراهيم العدوي، **المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1961م.

2 ـ أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، ط 5، القاهرة، 1956م.

3 ـ أحمد سوسة، **مفصل العرب واليهود في التاريخ**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م.

4 ـ أحمد شلبي، **مدارس قبل النظامية**، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1972م.

5 ـ أحمد عبد الستار الجواري، **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، دار الكشاف، بغداد، 1956م.

6 ـ إدوارد سعيد، **الاستشراق**، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981م.

7 ـ أكرم ضياء العمري، **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1972م.

8 ـ أمل عبد الحسين السعدي، **الشعوبية أهدافها ومواقفها الاقتصادية**، مطبعة الأمة، بغداد، 1989م.

9 ـ بندلي جوزي، **من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام**، بيروت، 1977م.

10 ـ جورج غريب، **بشار بن برد، دراسة عامة**، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

11 ـ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، **عبيد الله المهدي**، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ت.

12 ـ حسن حميد عبيد الغرباوي، **الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م.

13 ـ حسين عطوان، **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيروت، 1984م.

14 ـ رشدي عليان وسعدون الساموك، **الأديان دراسة تاريخية مقارنة**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م.

15 ـ زاهية قدورة، **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.

16 ـ سميرة مختار الليثي، **الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م.

17 ـ صابر طعيمة، **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**، المكتبة الثقافية، بيروت، 1986م.

18 ـ عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1949م.

19 ـ عبد الجبار الجومرد، **غرة العرب يزيد بن مزيد الشيباني**، دار الطليعة، بيروت، 1961م.

20 ـ **هارون الرشيد**، دار الكتب، بيروت، 1956م.

21 ـ عبد الحميد العلوجي، **الباطنية وتياراتها التخريبية**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

22 ـ عبد الرحمن بدوي، **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1946م.

23 ـ **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1945م.

24 ـ عبد الرزاق الحسني، **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم**، دار الكتاب الجديد، بغداد، 1974م.

25 ـ عبد السلام محمد هارون، **نوادر المخطوطات**، القاهرة، 1972م.

26 ـ عبد الصاحب الدجيلي، **الشعوبية وأدوارها التاريخية في العالم العربي**، مطبعة القضاء، النجف، 1960م.

27 ـ عبد العزيز الدوري، **الجذور التاريخية للشعوبية**، دار الطليعة، بيروت، 1980م.

28 ـ **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، مطبعة المعارف، بغداد، 1949م.

29 ـ **العصر العباسي الأول**، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، 1945م.

30 ـ عبد اللّه سلوم السامرائي، **الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية**، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.

31 ـ **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1972.

32 ـ عبد اللّه محمود شحاته، **أركان الإسلام**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

33 ـ عبد الهادي الفكيكي، **الشعوبية والقومية العربية**، دار الآداب، بيروت، 1961م.

34 ـ عرفان عبد الحميد، **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.

35 ـ **الخمينية ونظرة النبوة المستمرة**، بغداد، 1982م.

36 ـ عماد عبد السلام رؤوف، **مدارس بغداد في العصر العباسي**، مطبعة دار البصري، بغداد، 1966م.

37 ـ فاروق عمر فوزي، **مباحث في الشعوبية**، مطبعة الفنون، بغداد، 1989م.

38 ـ **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، 1980م.

39 ـ فاضل زكي محمد، **الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م.

40 ـ قحطان عبد الرحمن الدوري، **الحركات الهدامة في الإسلام**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

41 ـ محمد أبو زهو، **الحديث المحدثون**، مطبعة مصر، القاهرة، 1958م.

42 ـ محمد أحمد الخطيب، **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، مكتبة الأقصى، الأردن، 1984م.

43 ـ محمد آل كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، المطبعة الحيدرية، النجف، د.ت.

44 ـ محمد البنداري، **التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي**، قدم له سعيد حوى، دار عمار للنشر، الأردن، 1988م.

45 ـ محمد جابر عبد العال، **حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1954م.

46 ـ محمد عويس، **المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ**، دار الثقافة، القاهرة، 1977م.

47 ـ محمد كرد علي، **الإسلام والحضارة العربية**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1950م.

48 ـ **رسائل البلغاء**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954م.

49 ـ محمد نبيه حجاب، **مظاهر الشعوبية في الأدب العربي**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1961م.

50 ـ مرتضى العسكري، **عبد الله بن سبأ**، دار التضامن، بغداد، 1955م.

51 ـ **خمسون ومائة صحابي مختلق**، القسم الأول، منشورات كلية أصول الدين ـ دار التضامن، بغداد، 1969م.

52 ـ مصطفى كمال الشيبي، **الصلة بين التصوف والتشيع**، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

53 ـ أبو المعالي الحسيني، **بيان الأديان**، القاهرة، د.ت.

54 ـ ناجي معروف، **تاريخ علماء المستنصرية**، مطبعة الشعب، القاهرة، 1975م.

55 ـ ناصيف نصار، **مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ**، بيروت، 1980م.

56 ـ نزار عبد اللطيف الحديثي، **الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1987م.

57 ـ نزار وسعيد عبد اللطيف الحديثي، **الشعوبية نشأتها وتطورها**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.

58 ـ واجدة مجيد الأطرقجي، **إنصاف الخليفة الأمين بين الأدب والتاريخ**، مطبعة علاء، بغداد، 1981م.

خامساً ـ الرسائل الجامعية (غير منشورة):

1 ـ سعاد جواد حسن، **الخليفة المهدي العباسي سياسته الداخلية والخارجية (158 ـ 169هـ)**، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية التربية الأولى ـ ابن رشد، جامعة بغداد، 1990م.

2 ـ عجمي محمود خطاب، **مؤسسات الخلافة في عهد هارون الرشيد 170 ـ 193هـ**، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986م.

3 ـ كامل محمد حيدر، **المدارس العباسية في العراق تخطيطها وعمارتها**، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986م.

4 ـ محمد حامد إسماعيل، **البرامكة والشعوبية**، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1984م.

سادساً ـ المراجع المترجمة:

1 ـ أدولف أرمان، **ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها في أربعة آلاف سنة**، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبي بكر وآخرين، مطبعة الحلبي، القاهرة، د.ت.

2 ـ آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

3 ـ برنارد لويس، **أصول الإسماعيلية**، ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.

4 ـ بروكلمان كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 1962م.

5 ـ جب، هاملتون، **دراسات في حضارة الإسلام**، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م.

6 ـ جمال الدين الأفغاني، **الرد على الدهريين**، ترجمة محمد عبده، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م.

7 ـ جولد زيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1946م.

8 ـ دونلدسن، دوايت، **عقيدة الشيعة**، تعريب ع.م، مطبعة السعادة القاهرة، 1946م.

9 ـ الدهلوي، شاه عبد العزيز غلام، **مختصر التحفة الإثني عشرية**، نقله من الفارسية إلى العربية غلام محمد، واختصره محمود شكري الآلوسي وعلق عليه محيي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ.

10 ـ فان فلوتن، **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية**، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938م.

11 ـ ولهاوزن، يوليوس، **الدولة العربية وسقوطها**، ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1956م.

12 ـ **الخوارج والشيعة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.

سابعاً ـ المراجع الأجنبية:

1 - Browne, Edwaard, Aliterary History of persia, (London-1909).

2 - Goldziher, Agnas, Muhammed anische studien, vo12. (Hallen-1889).

3 - Hadden, A.G. The Roces of ma and their Distribution, (New Yourk-1925).

4 - Hitti, Philip, History of the Arabs. (London-1937).

5 - Nichalson, Reynold, Aliterary of Arabs, (London-1923).

6 - Syhes, Elia, prsia and Its people (London-1910).

7 - The Encyclopedia Britannica, 14 Edition artpersia. vol 17. (New Yourk-1939).

ثامناً ـ الأبحاث والدوريات:

1 ـ إبراهيم ياس خضير، **قراءات في الشعوبية**، مجلة آفاق عربية، العدد 31، السنة السابعة، بغداد، 1982م.

2 ـ بشير إبراهيم بشير، **حول الجذور التاريخية للدس الشعوبي**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990م.

3 ـ بندلي جوزي، **من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام**، بيروت، 1977م.

4 ـ حسين أمين، **التقاليد الجامعية في المدارس البغدادية في العصر**

العباسي، من بحوث الندوة العلمية الأولى التي عقدها قسم التاريخ في جامعة بغداد بعنوان بغداد في التاريخ، 1990م.

5 ـ حسن فاضل زعين، **مسالك الدس الشعوبي في الحياة الاجتماعية والمثل الأخلاقية**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 43، بغداد، 1990م.

6 ـ حسين عبد الرحمن باسلامة، **الاستشراق بين السلب والإيجاب**، بحوث الندوة القومية ج3، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990.

7 ـ حكمت صالح العزاوي، **مقدمة في تاريخ الشعوبية**، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 76 ـ 77، السنة السابعة، بغداد، آب، أيلول، 1974م.

8 ـ رضوان السيد، **العرب والعروبة والعربية من مفاهيم الهوية والأمة والدولة في الفكر العربي الإسلامي**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، بغداد، 1990م.

9 ـ زكي مبارك، **الشعوبية من قادسية سعد إلى قادسية صدام محاولة لربط المفهوم بين ماضيه وحاضره**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، بغداد، 1990م.

10 ـ صالح أحمد العلي، **التسلط الأجنبي**، بحث نشر في العراق في تاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م.

11 ـ صلاح الدين منسي محمد، **الاتجاهات الشعوبية وأثرها على القيم العربية، دراسة للصراع الثقافي بين الفرس والعرب**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، بغداد، 1990م.

12 ـ طالب جاسم الحسن، **البعد التاريخي للحركة الشعوبية**، بحوث الندوة الفكرية الثالثة بعنوان الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1988م.

13 ـ عبد القادر سلمان المعاضيدي، **مقاومة أهل بغداد لتسلط القادة العسكريين الأتراك**، أبحاث الندوة العلمية التي عقدها قسم التاريخ في جامعة بغداد، بعنوان بغداد في التاريخ، دار الحكمة، بغداد، 1991م.

14 ـ عبد الودود عبد الله، **الخطاب التاريخي المعاصر نموذجان حول الشعوبية**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، بغداد، 1990م.

15 ـ علي عبد القادر، **حول رسالة أبي عامر أحمد بن غرسيه**، الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990م.

16 ـ عماد عبد السلام رؤوف، **الشعوبية محاولة لفهم جديد**، بحوث الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، بغداد، 1990م.

17 ـ فاروق عمر فوزي، **العقدة الفارسية**، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 178، بغداد، 1984م.

18 ـ **سقوط البرامكة**، مجلة آفاق عربية، العدد 31، بغداد، 1981م.

19 ـ قحطان عبد الرحمن الدوري، **الحركة الباطنية ـ الوسائل والغايات**، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 230 ـ 231، بغداد ـ أيلول 1989م.

20 ـ ابن كمال باشا (ت،940هـ)، **رسالة في تحقيق لفظ زنديق وتوضيح معناه لغة وشرعاً وبيان حكمه**، تحقيق حسين علي محفوظ، مجلة كلية الآداب، العدد الخامس، بغداد، 1962م.

21 ـ محمد جاسم المشهداني، **الجذور التاريخية للرواية الشعوبية**، بحوث وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ج1، 1990م.

22 ـ محمد مبارك السيد، **الدس الشعوبي في السنة**، بحوث وقائع الندوة لمواجهة الدس الشعوبي، دار الحرية للطباعة، ج1، 1990م.

23 ـ محمد مراد سكر، **تاريخ الشطرنج**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 11، السنة الأولى، دار النشر العربية (بيروت، أيلول 1979م).

24 ـ محمد نوري العباسي، **الشعوبية والشعوبيون وأفكارهم**، مجلة آفاق عربية، العدد 10، السنة الثانية، بغداد، حزيران 1983م.

25 ـ نبيلة عبد المنعم داود، **التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية**، بحوث الندوة العلمية الأولى التي عقدها قسم التاريخ في كلية التربية الأولى، جامعة بغداد، دار الحكمة، بغداد، 1991م.

26 ـ وليد الأعظمي، **العجم والقرآن الكريم**، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 213 ـ 214، بغداد، 1989م.



فهرست الآيات القرآنية

(أ)

1 ـ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: 124].

2 ـ ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: 120].

3 ـ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3].

4 ـ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19].

5 ـ ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: 72].

6 ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: 40].

7 ـ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

8 ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].

(ب)

9 ـ ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].

(خ)

10 ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103].

(ف)

11 ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 72].

(ق)

12 ـ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28].

13 ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

(ك)

14 ـ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: 16].

15 ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

(ل)

16 ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

17 ـ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: 93].

(هـ)

18 ـ ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138].

(و)

19 ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111].

20 ـ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

21 ـ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

22 ـ ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: 44].

23 ـ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44].

24 ـ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68].

25 ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: 37].

26 ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: 113].

27 ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

28 ـ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8].

29 ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

30 ـ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

31 ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 145].

32 ـ ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: 38].

33 ـ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

34 ـ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: 110].

35 ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأحقاف: 12].

36 ـ ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: 27].

(ي)

37 ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: 171].

38 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 182].

39 ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: 13].

40 ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: 28].

41 ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

42 ـ ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39].

43 ـ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ [المائدة: 3].

فهرس الموضوعات





نشأتها وتطورها

(دراسة تاريخية)

- موضوع الشعوبية من أخطر الموضوعات في التاريخ العربي الإسلامي، لارتباطها بالزندقة التي كانت تمثل سلاحاً من أسلحتها ومظهراً من مظاهرها، ولأنها شغلت الأفكار والأذهان، وتعاونتا على محاربة العقيدة الإسلامية والقومية العربية التي كانت تشكّل لها عقدة نفسية، لذا قاموا بمهاجمة المثل العليا والنظم الاجتماعية والآداب العامة للعرب.
- وفضلاً عن هذا، فإن الشعوبية قامت بتزييف وتحريف الأحاديث النبوية الشريفة، ومحاربة أركان الإسلام التي جاء بها لخلق مجتمع يسوده العدل والإحسان، وقاموا بالعبث بكتب الفقه وفلسفة الأخلاق الإسلامية، وتشجيع الناس على ارتكاب المحارم وكل ما ينافي الدين الإسلامي.



9 "789959"001818">



الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان
AD-DAR AL - JAMAHIRIYA
FOR PUBLISHING, DISTRIBUTING & ADVERTISING
مصراتة: ص.ب. 1459 هاتف: 051 - 614658
بريد مصوّر: 051 - 619410
E-Mail: daraljamahiriya@maktoob.com
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى